فرويد

حيــاته وتحليله النفسى

مراجعة الاستاذ الدكتور
احمــد عكاشـــــة
استاذ الطب النفسى بكلية طب عين شمس

دار ومطـــابع المســتقبل
بالفجالة والاسكندرية
مؤسسة المعارف للطباعة
والنشر ببيروت

نشأة فرويد تصوغ حياته وأفكاره

اذا كان حقا ما يقول به السلوكيون ، من أن حيـــاة الفرد تتأثر تأثرا دائما بنشأته وبسنوات حياته الاولى ؛ فان حيـــاة سيجموند فرويد Sigmund Freud (وينطقونها بالالمانيـــة التي تكلم بها : فرويت) قد تأثرت تأثرا كبيرا بتلك النشأة وتلك الســـنوات الاولى من حياته .

فقد ولد سيجموند في فرايبرج بمقاطعة مورافيا (الان بريبور بتشيكوسلوفاكيا) في ٦ مـــايو ١٨٥٦ . وكان والداه يهوديان من من أصل نمساوى . وكان والده جاكوب Jacob تاجرا صغيرا للاصواف ، وجده لوالده من القساوسة اليهود .

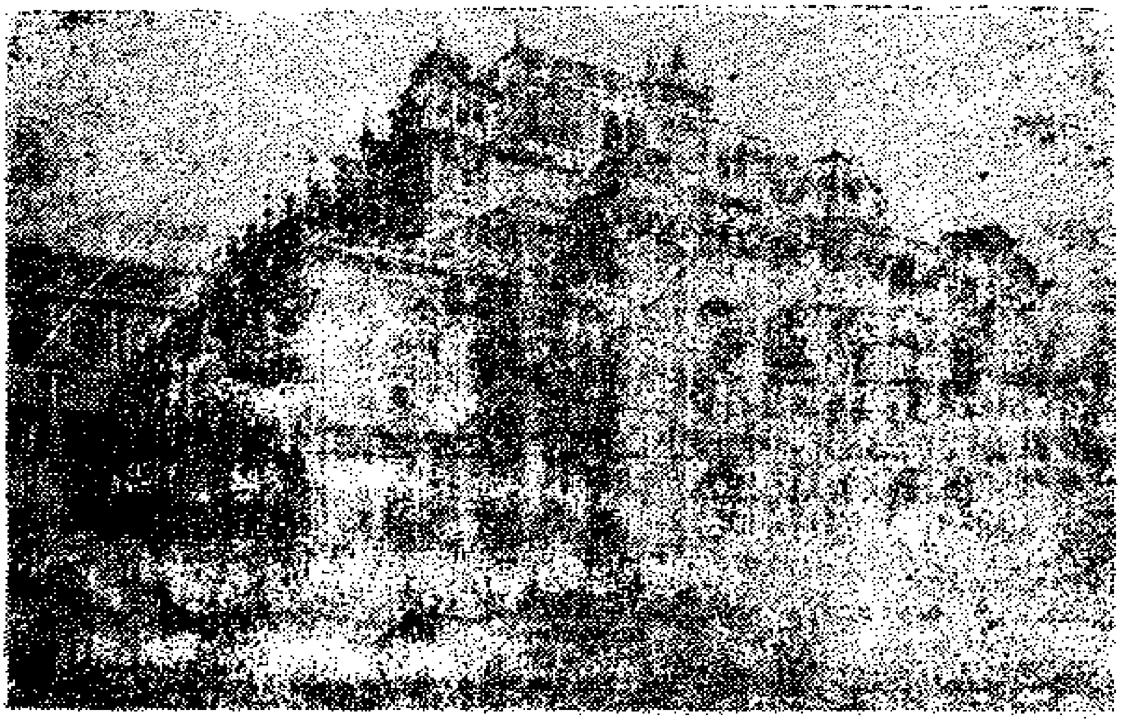
وأما والدة سيجموند فكانت صبية صغيرة ، تزوجها والده بعد ما جاوز الاربعين ، وبعد وفاة زوجته الاولى أمـــالى Amalie ولم تكن الام حين ولد سيجموند قد تجاوزت العشرين من عمرها وكان سيجموند هو الابن الوحيد لوالدته ، اذ توفى بعد ولادته

بعام ابنها الثانى ، يوليوس Juluis ، وهو الذى ذكر فرويد أنه كان « يغار منه غيرة شديدة » • ولكن كان للاب أبناء عديدون من زوجتــه الاولى • ومن هؤلاء رجلان بالغان • وقــد تزوج أحدهما وقت زواج والده الثانى ، وأنجب ابنا أسماه جون John كان رفيق سيجموند فى صباه • وقــال عنــه سيجموند أنهما كانا « يحيكان مؤامراتهما الصغيرة معا » •

ولم يحقق والدسيجموند من تجــارته فى الاصواف أى كسب مادى كبــير • ولذا تراوحت أحوال الاســرة الكبيرة بين الفقــر والاعتدال ، ولم تبلغ بها الحال قط حــد الغنى • واضطر الوالد جاكوب ، أن يرحل بأسرته مرتين • الاولى الى لايبتريج (الان المانيا الشــرقية) والثانيــة فى ١٨٦٠ الى فيينــا ، العاصمة القديمــة لامبراطورية أوروبا الشرقية • والتحق سيجموند بمدارس فيينا الثانوية منذ عام ١٨٦٥ •

وقد وصف تلميذ فرويد ومؤرخه ، أرنست جونز Jones علاقات ســيجموند بأفراد عائلتــه الكبيرة بأنها كانت « شــديدة التعقيد » • وقال أن محاولات سيجموند « كشف معانى العلاقات الغامضة بينه وبين أفرادها الكثيرين كانت قلقة» •ولكن هذه العلاقات كانت هى بداية فهم فرويد للعلاقات الانسانية عامة •

وقال ريتشارد فولهايم Wolheim أن حب فرويد لوالده ، وتقديره له « قد اختلط عنده بالحسرة عليه ، كما بالخوف منــه » وأن عواطفه « الحسية الحارة نحو والدته ، وامتعاضه من اخوته



فيينــا فى نهاية القرن التاسع عشــر
وتمثل الصورة دار الاوبرا الشهيرة بها

الكثيرين الذين يفوقونه سنا ومرتبة ـ قد تركت آثارها فيه • وأن صور الكبار منهم قد حلت عنده محل صــورة الاب • بينما كانت غيرته من صغارهم شديدة » •

وقد عاش سيجموند فرويد أكثر حياته فى فيينا ؛ فلم يبارحها الا لرحلة أو مؤتمرأو أجازة • .ولكن ذكرياته فيها لم تكن سعيدة • ويلاحظ القارىء أننا نؤكد على هذه التفاصيل ؛ لان سيجموند حين أخذ بعد ذلك فى وضــع نظرياته قد نظر ـ كما يقول فولهايم ـ الى نفسه والى أسرته ؛ قبل أن ينظر الى مرضاه ؛ ثم الى سائر الناس فهذا طبيب يهودى شاب ؛ من عائلة متوسطة ؛ بل نكاد نقول فقيرة فى مجتمــع شــديد المحافظة ، هو مجتمــع احتضـــار العـــاصمة الامبراطورية الكبــيرة • وهو ينظر بحكم تلك النشـــأة نظـــرته الخاصة ؛ لا الى العالم وحده ، وانما للعائلة والجنس والمرأة الخ مما سيأتى الكلام عنه •

يقول سيجموند فرويد انه كان يمشى مع والده يوما فى أحــد شوارع فيينا ـ فاصطدم والدهبأحد أبنائها الارستقراطيين • فما كان من الاخير الا أن ••

« أمسك بقبعة والدى الجديدة ، فالقى بها فى وحل الطريق ، وهو يصرخ فيه : يهودى • يهودى • انزل من فوق الرصيف ـ لا تمشى فوق الرصيف يايهودى » •

ويضيف سيجموند أن والده لم يرد عليــه بكلمة • وأنه التقط القبعة الجديدة ، والتى اتسخت بأوحال الطريق ، وانصــرف من أمامه فى سكون ! •

ويقول سيجموند فرويد أيضا أنه قد أحس . منذ صباه ..

« باختلافه عن الغالبية العظمى من ابناء فيينـا المسيحيين .
وبانفراده . وبوحدته . وبحاجته الى الاعتماد على نفسه »

وليس من شك أن هذه المؤثرات قد أثرت فى سيجموند تأثيرا شديدا فجعلته مثابرا ، عنيدا ، حتى أصبح يرفض معارضـة . بل مناقشة ، أقرب الناس اليه . مما أدى فى أحيان كثيرة الى اختلافه مع عدد من أهم أصدقائه وتلاميذه .

وقد لقى سيجموند فى فيينا عنفا وكرها شديدين . فقد حاربه أطباؤها وعلماؤها فى بداية حيـاته ، ولم يعترفوا بعبقـريته الا مكرمين . ولا يزال الزائر لقاعات جامعـة فيينـا الى اليوم ، يدهش من وفـرة التماثيـل المتناثرة فى أنحائها ، وجلهـا لاسماء غير لامعـة فى حقول العلوم الانسـانية ،وصغر وانزواء تمثـال سيجموند فرويد بينها ! .

هاو للفلسفة ودارس للطب

تمتع فرويد منذ حداثته بخيال واســـع • وكان يتمثل نفســـه غازيا من غزاة العالم كهنيبعل أو نابليون • ثم شغف بالقـــراءة • وكان ميالا الى الفلسفة •

وقد انحاز الى جانب المجددين والثائرين من العلمـــاء وقتئذ ، من أمثال برنتانو وديه بواه وهيلمو هلتز وفيخنر وكيشنج وهوسكنز وفريمان وبافلوف • ويذكر فرويد أنه قد دخل كلية طب جامعـــة فيينا بعد تردد طويل ، وعقب قراءته لمقال عن « الطبيعة » لجيته • ويقال أن فرويد قد أحب جيته منذ حداثته ، ولكنه كان « يتجنب » نيتشـه • وأنه لم يقرأ شوبنهور حتى سنوات حياته الاخيرة •

دخل فرويد كلية طب جامعة فيينا فى عـــام ١٨٧٣ ، وتوقف عن الدراسة بها شهورا خلال عام ١٨٨٠ لاداء الخدمة العسكرية • ثم عاد اليها ، وأتم تعليمه الطبى فيها فى العام التالى ١٨٨١ • ولكنه عمل خـــلال أعوام دراسته النهائية مـــع اثنين من كبار الاطبـــاء

النمساويين فى زمانه . وهما مينرت Meynert وبريكه Bruche وقد أثرا فيه تأثيرا بالغـا • ووجهه الثانى . خـلال عمله معه بين الاعوام ١٨٧٦ و ١٨٨٢ فى معهـد الفسيولوجيا الذى كان يديره ، الى دراسة التشريح الباتولوجى • وقد ذكر فـرويد « أن بريكه هو الشخص الذى أثر فى حياتى أكثر من أى انسان آخر » • ثم عرف فرويد فى عام ١٨٧٨ أستاذه وزميله بروير Breur وعمل فى عيادته بعد ذلك سنوات •

وقد حاول فـرويد عند تخرجه آن يعمل بالبحوث فى جامعـه فيينا • ولكنه لم ينجح فى هذا رغم شدة ميله لذلك • وهذا . كما قال بنفسه . ليهوديته • فالتحق بعيادة بروير . وتوثقت عـلاقته به خلال الاعوام التالية . وحتى عام ١٨٩٥ • حتى انقطعت تماما كما سيجىء . فى ١٨٩٦ •

وفى خلال هذه الفترة الاولى من حيـاة فرويد ، قبيـل . وأثر تخرجه من كلية طب فيينا . درس فرويد فى المستشفى العام بفيينا وعيادة بروير أعمالا شتى • منها على سـبيل المثال : ميكانيكية التنفس فى الطيـور ، ووظائف قنوات الاذن ، وطريقـة سباحـة الاسماك ، وتشريح أجنة الطيور • على أن أبرز دراسـات فرويد فى تلك الفترة كان خلال العامين ١٨٨٣ ، ١٨٨٤ على مفعول الكوكايين كمخدر موضعى وكعلاج لبعض الامراض النفسية • ويقـال أنه كان على وشك تحقيق كشف تأثـير الكوكايين كمخـدر لولا تحوله عن متابعة بحوثه الى نواح أخرى فى العلاج النفسى •



العالم النمساوى الشهير بريكه الذى
تتلمذ عليه فرويد فى شبابه

وقد أجمع الدارسون . من بين أصدقاء وأعداء فرويد على السواء . على أنه فى دراساته كان واســع الاطلاع . دقيقا أشــد الدقــة . وأنه قد نبــغ على الخصوص فى فسيولوجيا الخــلايا العصبية وكمعالج للامراض العصبية .

يقــول فرويد :

« ان مواهبى ، أو قدراتى محدودة للغاية . فليس لدى منها شىء للعلوم الطبيعية ، أو للعلوم الرياضية . وليس لدى منها شىء للقياسات الكمية .ولكن يلوح لى أن ماعندى من موهوب أو قدرات صغيرة ، حاد للغاية » .

ويضيف فرويد :

« ان تقديرى لانجــازاتى كبير جدا . ولكن تقــديرى لنفسى لايماثلها كبرا . لقد كان على الانســـانية على طول الزمن أن تتلقى عن يد العلم الحديث ضــربتين قويتين ، حطمتا حبهما الساذج لنفسها . الاولى عندما تأكد لهـــا ان الارض ليست هى مركز الكون ، ولكنها جزء صغير من نظـــام عالمى لانكاد نحيط باتســـاعه . وتقترن هـــذه الثورة باسم كوبرنيكوس Copernicus **، مع أن بعض تعــاليم الاسكندرية قد سبقت الى شىء منه . والثانية عــدما جردت البحوث البيولوجية الانسان من نوعيتــه المنفردة كمخلوق . مميز عن غــيره من المخلوقات ، وطوحت به ، مؤكدة نوعيته الحيوانيــة ، وسط عموم الحيوانات . وقد تمت هذه الثورة الثانيــة فى زماننا بايعاز من تشـــارلز داروين** Darwin **ووالاس** Wallace **ومن تبعهم ، وأمام معارضة صاخبــة من معارضيهم . ولكن مابقى من خيلاء الانسان يتلقى الان ضربته الثالثة والاليمة على يد الانجازات التى تحققها البحوث السيكلوجية الحاضرة فان هذه الانجازات تؤكد ان نفس كل منا لم تعد لها السيادة**

التامة . وأن الانسان لم يعد ينفرد بقصـــره الخـــاص به. وان عليـــه ان يرضى بأن يزاحمه في كامنته ، وداخـــل عقله ، دوافع وعواطف وكظوم كثيرة » .

ويضيف الينبرجر Allenberger ، أن فرويد لم يتأثر بثورتى كوبرنيكوس وداروين وحدهما . وانما تأثر أيضا بالثورة الجنسية التى قامت خلال النصف الاخير من القرن الماضى على يد كرافت ايبنج Ebbing وهافلوك ايليس Ellis ممن سبقو الى التحدث عن أهمية الجنس فى الانسان . من دون البحث فى دوافعه وآثاره . ويؤكد الينبرجر أنفرويد ماكان مستطيعا القيام بما قام به منأعمال من دون الاطلاع الكامل ، والتأثر الايجابى . باعمال هؤلاء الرواد. ولعل من حقنا نحن أيضا أن نتساءل عما اذا كان فرويد مستطيعا أن يحقق انجازاته من دون المؤثرات الاسرية والاجتماعيـــة التى ولد ونشأ فيها ، الى جانب ماوقع فيه بعد ذلك من تأثـــير الرواد الذين تعرف عليهم .

لقد اعتبر فرويد نفسه « فيلسوفا » أكثر منه طبيبا . ووصف نفسه بأنه كان « هاويا » للفلسفة . وأنه يعتبر علمه الجديد ، أى التحليل النفسى ، فرعا من فروع العلوم الاساسية ، وليس الطبية

وكتب فى ١٨٩٦ :

« عندما كنت صغيرا كنت اتمنى أن أحيط بالمعلومات الفلسفية والان ، وانا انتقل من الطب الى السيكلوجيا ، اشـــعر انى اتقدم نحو ماكنت ارغب فيه . لقد عملت طبيبا معالجـــا رغم انـــفى » .

وقد شرح فرويد فى عشـــرينات القرن الحاضر العـــلاقة بين العلاج الطبى والعلاج النفسى . فقال :

« بعد اربعين عاما من النشـاط الطبى يتضح لى اننى لم اعمـــل فى يوم من الايام كطبيب . وفي تقديرى أن على الاطباء الذين يرغبون فى العمل كمحللين نفســـانيين ، ان يتغلبوا في انفسهم على الجانب الذى اكدته فيهم دراساتهم الطبية ، وان يقاوموا ميولهم نحو الاعتماد على علوم الغدد والاعصاب وغيرها » .

حالة المريضة « أناأوه ANNA O »

عمل فرويد بعد تخرجه فى عيـادة أستاذه وصديقه برويـير •
وتعرف فى نفس العـام ، ١٩٨٢ ، على زوجته المقبلة مارتا بـيرنيز
Martha Bernayz وكانت صبيـة صغـيرة تعيش فى هامبورج ،
كبرى مدن المانيـا الشمالية وقـد قابلها فرويد بعـد ذلك مرات ،
وارسلها بانتظام ، ثم تزوجها فى سبتمبر ١٨٨٦ •

وقد نجح هذا الزواج بجميع المقاييس • فكانت تلك السـيدة
القصيرة نوعا ، والمتوسطة الجمال ، خير عون لفـرويد فى منزله :
ولاولادهما الستة ، ومنظم لاعماله ولعيادته التى شغلت بعد ذلك
ثلاث حجرات من منزله الكبير ، والتى كان فرويد يقضى فيها أكثر
ساعات اليوم •

وكان فرويد أبا بطريركيا ، ينتظر الطاعة من جميع أفراد عائلته
وتلاميذه • وكان يجتمـع بأعضاء أسرته كل ظهر على الغـذاء •
ولكنهم لم يكونوا يرونه ، أو يجسروءا على ازعاجه ، فى سـاعات

عمله .وكانت تلك الساعات طويلة ، اذ كان فرويد يعقد ثمانى الى عشر جلسات كل يوم لمرضاه . ثم يجلس للكتابة ساعات أخرى وكان يدخن خلال كتاباته وفى ساعات استرخائه السيجار .

وقد تعود فرويد بعد ذلك على أن يجتمع بعدد من أصدقائه مرة واحدة فى الاسبوع للعب الورق . وكان يلتقى بتلاميذه مرة مساء كل أربعاء . ولكن لما زاد عدد هؤلاء التلاميذ ، لم تعد تكفيهم حجرة عيادته ، فأخذ بعضهم يجلس فيها ، واكتفى الباقون بالاستماع اليه من خارجها .

وكان فرويد يتمشى بين كل حين وآخر فى شوارع فيينا ، وخلال أشهر الصيف ، حول المزارع المحيطة بها . وقد زار خلال رحلاته العلمية ، التى كان يقوم بها منفردا ، أنحاء النمسا وألمانيا ، وبعض أماكن فى فرنسا وايطاليا واليونان .

وعندما تزوج فرويد من مارتا ، انتقلت للسكنى معها اخت زوجته مينا Minna وكانت أطول قامة، وأجمل شكلا، وأقوى على تحمل أعباء العمل من شقيقتها زوجة فرويد . فساعدت فى رعاية أفراد الاسرة ، وفى تدبير أمور المنزل والعيادة ، طوال خمسين عاما وحرمت نفسها مختارة من اتخاذ حياة زوجية أو مستقلة .

وقد شاء الكاتب اميل لودفيج Ludwig أن يرد سخرية يونج Jung من هذا الوضع ، ومن دون أن يجرؤ ، أحد غيرهما من أصدقاء وأعداء فرويد على السواء ، على أن يقدم شبهة أو يحكى حادثة .

* * *



استـــتاذ وزميل فـــرويد الطبيب برويـــر
الذى عمل معه في عياده ودرس حالة آنا اوه

كان بروير عندما عمل معه فرويد من أكبر أطباء فيينا وأشهرهم عند ارستقراطييها • وكان يعالج بين عامى ١٨٨٠ . ١٨٨٢ مريضة بالهستيريا* تسمى « بيرتا بابانهايم Bertha Pappenheim وتعرف حالتها باسم « آنا أوه (Anna O) • وكانت أنا أوه فتاة جميلة فى الواحدة والعشرين من عمرها • ويقال أنها قد أعجبت اعجاباً خاصا بمعالجها بروير ، وأن هذا قد ساعد على نجاح علاجها • ولكن أيضا على هروبه منها ، ثم قطع صلته بها •

وكانت مظاهر الهستيريا تتمثل فى أنا أوه فى شلل أطرافها ، وعجزها عن تحريك أيديها وساقيها ، واضطراب نظرها ، واختلاف دقات قلبها . ورفضها شرب الماء ، والعجز عن التحدث بلغتها الالمانية وتحدثها بالانجليزية •

وكان بروير يستقبل أنا أوه فى المساء ، فتقص عليه روايات كثيرة لا رابط بينها • فلما استبدل وقت علاجها بالصباح ، وجد أن كثيرا مما كانت تقوله قد أصبح ذا مغزى • ولما أخذ يقارن بين أقوالها المسائية والصباحية ظهرت له بضعة أشياء • وحينئذ فكر بروير فى تنويمها لمساعدته على كشف التناقض والغموض فى بعض ماذكرته له •

---

* آثرنا استخدام الكلمات المعربة على المترجمة لدقتها ، ولتسهيل الدرس في اللغات الاجنبية ، ولدلالة تأليفها فيها ، وخلوها من الشحنة المسبقة التى قد تحملها الكلمة العربية وتجنب المفاضلة بين كلمات المدارس العربية المختلفة .

وقد وجد بروبير (وكان قد بدأ يطلع فرويد على حالتها ويناقشه فيما يجب عمله معها) أن أنا أوه كانت قد مرضت والدها طوال شهور حتى وفاته . وأن كل مظاهرها الهستيرية تعود الى تلك الفترة التى قضتها فى تمريضه . وأن أنا أوه كانت . زيادة على ذلك ، شديدة الكره لمدرسة انجليزية تعلمها تلك اللغة . وأن المدرسة قد قدمت الماء يوما لكلب لها فى كوب خاص بأنا أوه . فلم تعد أنا أوه منذ هذا الوقت قادرة على شرب الماء . واستبدلت بلغتها الالمانية خلال أزماتها لغة تلك المدرسة .

وعندما كشف بروبير عما وجد لانا أوه . وأبان عن دوافع وأسباب كبتها ، شفيت أنا أوه تماما عن كل مظاهر الهستيريا . وغادرت عيادته من دون أن تعود اليها بعد ذلك .

يقول فرويد :

« ان علماء الاعصاب كانوا قد لاحظوا ان الكشف عن الدوافع المكبوته لاسباب القلق النفسى والهستيريا ، يزيل ظواهرها عن المريض . وان المريض الذى يكشف عما يدور في رأسه من أحلام بالثرثرة الى المعالج الذى يطمئن اليه ، كثيرا ما تتحسن أحواله » .

ويقول أيضا :

« ان المريض بالهستيريا يعانى من صدمة مؤلمة اثرت فيه تأثيرا دائما . وهو قد ينسى الصدمة . ولكن تنويم المريض يعيد الحادثة والدوافع التى ادت اليها الى خياله . فاذا كشف عنها الطبيب ، شفى من المرض » .

كل هذا كان معروفا عند علاج بروبير لانا أوه ، ولكن ما أضافه

برويير يومئذ هو محاولته « تنويم » المريضة لمساعدتها على الكشف عن الكبت والدوافع . وقد سمى برويير وفرويد تلك الطريقة « العلاج الكلامي Talking Cure » أو « تنظيف المدخنة Chimney Sweeping» . وأطلق عليه الفرويديون بعد ذلك اسم اسم « التطهير Catharsis »

وفى خلال تلك الفترة الاولى من حياته ، كان فرويد يجرى بحوثه التى تحدثنا عن بعضها . على أن فرويد حصل فى العام التالى ، ١٨٨٦ ، على منحه دراسية أختار لموضوعها درس «التنويم والايحاء النفسى » ولمكانها باريس ، حيث العالم الفرنسى الذائع الصيت وقتئذ شاركوه Charcot . ولم يكن أحد فى فيينا وقتئذ يؤمن ، أن كان قد سمع ، بما يقول به شاركوه . ولكن تجربة برويير مع آنا أوه ، فتحت عقل ذلك العبقرى النمساوى ، وشجعته على أن يختار بنفسه موضوع ومكان منحته الدراسية .

وقد قضى فرويد فى باريس الفترة بين ١٣ أكتوبر ١٨٨٥ و ٢٨ مايو ١٨٨٦ . فدرس فى خلال تلك الفترة اللغة الفرنسية ، وكل ما استطاع من أعمال شاركوه . وقد تابع فرويد شاركوه فى محاضراته وبين مرضاه فى مستشفى سالبترييه ، وناقشه فى أشياء كثيرة ومن بينها حالة المريضة آنا أوه .

وكانت المدرسة القديمة فى درس وعلاج الهستيريا ترجع أسبابها عند المريض الى « الخيال» أو الى مرض فى «رحم»المرأة . ومن هنا سميت هستيريا . فالاسم يعنى فى اليونانية « الرحم »

ولكن شاركوه لم يكن يؤمن بهذه التعاليم القـــديمة . وكان يكرر لتلاميذه : أنظروا دائما ، وفى كل الاحوال : الى الدوافع الجنسية ومع ذلك فعندما سمع شاركوه بعد ذلك أن فرويد يرجع بعد عودته الى فيينا أكثر الامراض النفسية الى الجنس ، لم يوافقه ؛ وعـــاد يقول : ولكن هذا غير معقول ! .

من التنويم الى التحليل

عاد فرويد الى فيينا فى ١٨٨٦ ، فعمل فى مستشفى كاسوبتز وافتتح عيادة خاصة فى جزء من منزله . وقد استمر فرويد فى شغل المنزل والعيادة ، لم يغيرهما ، حتى طورد من المدينة على أيدى النازيين الالمان فى ١٩٣٨ .

وقد ألقى فرويد بعد عودته بأسابيع من باريس محاضرة على أطباء فيينا عن طرق العلاج التى شاهدها فى باريس . ولكن محاضرته لقيت فشلا ذريعا بين زملائه ، الذين سخروا من كلامه . بل أن . ـضرة أوغرت صدورهم نحوه حين كاشفهم ببعض الكشوف التشريحية والنفسية المتقدمة فى باريس عنها فى فيينا .

وقد آذت تلك المحاضرة فرويد أمام زملائه ، وأضرت بعيادته ؛ حيث بقيت بعد ذلك شهورا طويلة فيما يشبه الكساد المادى .

واستمر فرويد فى مستشفى كاسوبتز حتى ١٨٩٣ ، ولكنه تركها فى عام ١٨٨٩ لدرس التنويم على يد بيرنهايم Bernhayem

فى نانسى بفرنسا • وقد حاول فرويد أثناء ذلك ان يعود للتعاون مع بروير . ولكن هذا أخذ يبتعد عنه تدريجيا : لاعتقاده أن فرويد قد أخذ يولى الناحية الجنسية لمرضاه أكثر من حقها • وأيضا لوثوقه من أن تلك الشهرة التى طغت على اسم فرويد قد تصيبه هو أيضا . فتضر بعيادته المزدهرة وقتذاك •

على أن فرويد نجح فى ١٨٩٣ فى نشر مقالة له مع بروبير عن « الميكانزمات السيكلوجية لمظاهر الهستيريا » • وفى أن ينشرا معا بعد ذلك بعامين . أى فى١٨٩٥ . كتابهما «دراسات فى الهستيريا» وهو الذى تؤلف حالة أنا أوه واحد من أهم فصوله • على أن ثقة بروير فى صديقه كانت قد تدهورت الى حد أن أنفرد كل منهما بكتابة بعض فصول الكتاب• فلم يضعا اسميهما معا الا على مقدمته ! • وفى العام التالى لظهور الكتاب ، ١٨٩٦ ، أنهى بروير كل علاقة له بفرويد •

وقد تضمن الكتاب المذكور عدة حالات هستيرية أخرى ، رمز لاهمها بالرمز «ايمى فون أن » و « لوسى أر » و « كاترينا » و « كينتشيليا أم » • ولعل أهم تلك الحالات جميعا هى حالة مريضة فرويد « اليزابيث فون أر Elisabeth Von R » •

وقد استمر علاج فرويد لاليزابيث فون أر بين الاعوام ١٨٩٢ ـ ١٨٩٨ • وكانت من أصعب الحالات التى صادفها • اذ بدأ فرويد بالعلاج التقليدى وقتئذ ، وهو محاولة تنويم المريضة ثم الايحاء اليها • ثم بمحاولة بروير الناجحة مع أنا أوه ، تنويم

المريضة وتركها تسترسل فى الكلام • ولكن هاتين الطريقتين لم تفيدا مع اليزابيث فون أر لما وجده فرويد من صعوبة تكاد تبلغ الاستحالة فى تنويمها • وزيادة على ذلك ، كانت اليزابيث فون أر تصر على رواية رواياتها كاملة . ومن دون أن تسمح لفرويد بمقاطعتها •

وحينئذ بدأ فرويد الطور الثالث فى علاج الهستيريا عند الفرويديين ، وهى تركها ، تتكلم . وتتكلم،وتتكلم • فكانت هذه أول دراسة « تحليلية » الهستيريا •

يقول فرويد ان الهستيريا « تظهر وكأنها تلغى أساسيات علم التشريح ، أو كأنها لم تسمع بهما » •

وكانت اليزابيث فون أر تعانى أساسا من آلام فى ساقيها وعجز عن المشى السوى • وقد قصت على فرويد سلسلة من الحوادث الاليمة التى جرت لافراد أسرتها • فقد توفى الاب • ثم تزوجت أختها مخالفة لرأى عائلتها وانفصلت عنهم بزوجها • ثم توفيت أخت أخرى خلال ولادتها • ووجدت العائلة أنها لم تعد تستطيع التفاهم مع زوجها • ثم مرضت الام • وهذه كلها حوادث مؤسفة ، كما قال فرويد ، ولكن أين الدوافع التى أدت الى الكبت ؟ • انه لايجدها ! • واليزابيث فون أر تقول أنها تعرفها ، وتكرر عليه ماقالت • حتى بدأت تتحدث عن شاب مال اليه قلبها • ويجتهد فرويد فى التعرف على الشاب ، حتى تعترف أنه زوج أختها المتوفاة • نعم لقد مال قلب اليزابيث الى زوج أختها •

وقد لامت نفسها بشدة على هذا الميل ،ثم ماتت الاخت، فصارحتها كامنتها : الان وقد ماتت : افرحي ؛ فقد تمهد لك الطريق ! .

لقد تحدث أرنست جونز عن نظام للدوافع الكامنة انتهى اليه فرويد بعد ذلك . قال ان فرويد قد انتهى الى أن الكامنة ليست متجانسة . فقد تجمع بين أفكار مختلفة ، بعضها قد يضاد البعض الاخر . ولكن هذه الافكار المختلفة قد تتعايش مع ذلك داخل الكامنة الواحدة . لان تزاحم هذه الافكار فيها لايعرقل استمرارها، كما لايعرقل ظهور بعضها من دون البعض الاخر . وقال أن الكامنة قد تتجاهل أيضا عامل الوقت ؛ فتختلط الافكار القديمة بالجديدة . وأن هذه قد تطفو كعاطفة طاغية وتحل محل الحقيقة الخارجية .

وقد تحدث فرويد بعد ذلك عن حالة مريضة أخرى بالهستيريا هي حالة المريضة « دورا Dora » . وكانت دورا فى الثامنة عشر من عمرها . وكانت ظواهر الهستيريا تظهر عندها على شكل كحات طويلة ، تفقد خلالها صوتها . كما كانت تشعر بأعراض تشبه أعراض التهاب الزائدة الدودية . وقد وجد فرويد أن دورا تحب والدها وتكره أمها . ولكنها تحولت عن والدها ، وهددت بالانتحار اذ اكتشفت علاقة بين والدتها وبين صديق الاسرة « كيه K » وأن والدها قد اتجه بتشجيع خفى من والدتها ، نحو زوجة كيه . ووجد فرويد أن دورا نفسها كانت تميل الى كيه . ولهذا « تخيلت» دورا أن رغبتها فى كيه قد أشبعت . وأنها قد حملت منه . وأن

ماظهر لها من علامات الزائدة الدودية هى عوارض حملها منــه •
ولكن الحقيقة أن دورا لم تضاجــع كيه • وأنه الى جانب حبهــا لكيه ، كان هناك ، كما وجد فرويد ، حبها القوى لوالدها • ورغبتها الشاذة ناحية والدتها ومربيتها • وبعد ذلك ميلها التدريجى نحو معالجهــا •

* * *

ويلاحظ أن فرويد قد استفاد فيما أسماه بـــ « التحليل النفسى » بتفسير أحــلام المريض ،مثلما استفاد بـــ « تداعى الافكار » • أى بترك المريض يتذاكر الحوادث العاطفية التى مرت به ، وأحدثت كظومه ، وفجرت أزماته • ولم يعترف فرويد بهفوات أو أخطـــاء أو نسيان يقع فيه مريضه ، مما أسماه بالالمانية Fehlleistungen ويطلقون عليه الان اسم « غلطة اللسان Freudisceh Versprech ung فلكل واحدة من هذه معنى يجب أن يدرس ويمحص • وقد أعطى فرويد مثالا برئيس البرلمان النمساوى الذى جلس لافتتاح احدى جلسات البرلمان ، وكان فى عجلة للحاق بموعد ، فأخطأ فى كلماته وقال : قفلت الجلسة • بدلا من أن يقول : فتحت الجلسة ! •

وضرب فرويد المثل بنفسه حين قال أن الانسان كثيرا مايحاول أن يتجنب موضوعا ، فينسى موضوعا آخــر يشابهه • وأن هــذا كثيرا مايحدث عنـــد الحديث فى مواضيــع تمس المرأة أو الجنس أو الموت الخ •

* * *

كانت مريضة فـرويد تجلس على أريكة طويلة فى عيـادته ، يتدلى من فوقها ضـوء خافت • ويجلس فـرويد من وراء رأس المريضة بحيث لا يزعجها بالتحديق فى وجهها • وكان فرويد يتحدث الى مريضته بصوت خافت وهادىء • وقد يربت على جبهتها بيده •

وكان فرويد يشجع مريضته على التحدث فى كل ماتريد ، ومن دون أية مقاطعة أو أسئلة • وكان غرض فرويد من جلساته المتكررة هو مساعدة المريضة على تحديد الدوافع والكظوم • فاذا ماوقعت عليها ، فقد كشفت لفرويد ، ولنفسها ، عن المرض ، فيكون التحسن السـريع •

وقد ترك فرويد التنويم بعد ذلك الى التحليل ، لاسباب كثيرة منها أن نتائج العلاج بالاول ليست دائمة وكان يحـذر من « الخلط بين ذهب التحليل ونحاس التنويم » •

وكان فرويد يحذر من أى ايحاء سيكلوجى من المعالج للمريض ، كتشجيعه على اتخاذ طريق أو رواية يغرسها فيه معالجه • وكان يرى أن وظيفة المعالج تقتصر على « التفسـير » • ولم يكن يصر على أن يكون المعالج طبيبا ، بل كان يطلب أن يكون معالجـا محايدا •

كذلك حذر فرويد من أى تماد بين المعـالج والمريض • فمـع أنه كان يرى أن نجاح المعـالج يتوقف على ثقـة وتعاطف المريض مع المعالج ، فان لهذين عنده حـدودا صارمة يجب ألا يتجاوزاها شعوريا أو لاشعوريا • وكان يقول أن العلاقة بين المعالج والمريض خطيرة جدا « لانها تقـوم على اعترافات الثانى للاول • وجلهـا اعترافات جنسية » •

دور الجنس فى الاحلام

كان لفرويد ولع قديم بتفسير الاحلام . وقد وجد منذ افتتاحه اعيادته ، وبداية تبينه لكظوم مرضاه فيها ، أنه يحتاج الى أن يتعرف على احلامهم والى أن يستدل برموزها فى محاولة تفسيرها .

يقول فرويد :

« ان المفروض هو الا تظهر عند النوم اية حركات نفسية . ولكن اذا ظهرت لنا بوادر منها ، فان السبب يرجع الى ان الشخص الحالم قد عاد الى مرحلته الجنينية الاولى . فالنائم لا يستطيع ان يتجنب مايظهر عليه من علامات نفسية تؤلف بعض حلمه . والاحلام هى الطريق الوحيد امامه للتخلص من عواطفه المكبوتة » .

فالحلم عند فرويد ..

« تحقيق مستور لرغبة غير واضحة ، او خفية ، او مكبوتة مفهومة او غير مفهومة . وعلامة يبوح عن طريقها العقل ببعض اسراره الكامنة .. (ولكنه ايضا) علامة من علامات النيوروز (العصاب) . وكثيرا مايواجهها المعالج كعلامة سيكوباثولوجية ، ولكنه ليس بكذلك » .

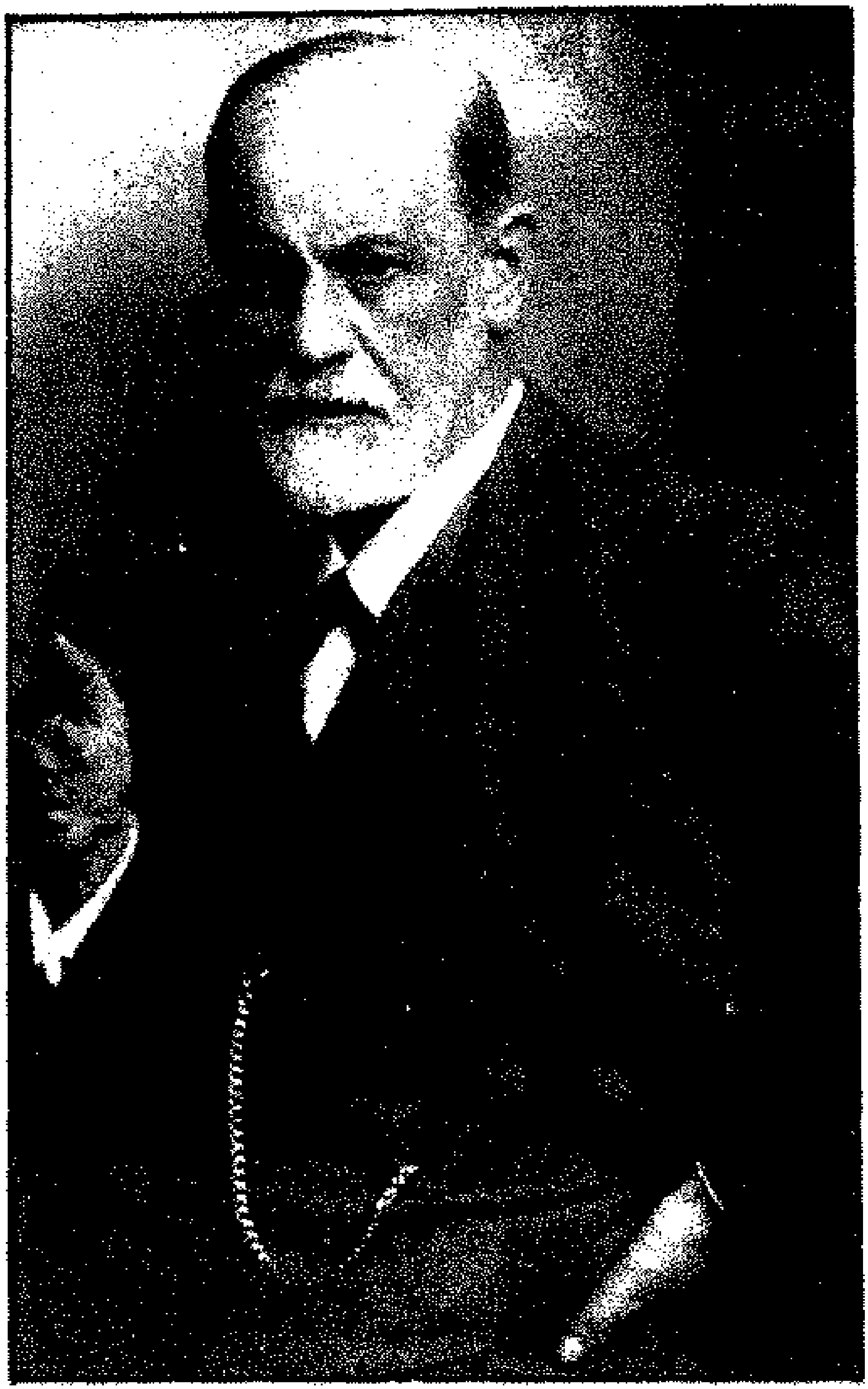
وقد وجد فرويد أن بامكانه أن يفسر أحــلام المريض ، جزءا بعد جزء . مستعينا برموز تلك الاحلام ، للكشف عمـا فى كامنته . فالحلم عند فرويد . هو « الطريق الامثل (الملكى) لفهم الكامنة » وقد وجد فرويد أن كامنة كل شخص لاتضم تفاصيل متناثرة وغير وغير هامة من التجارب ؛ وانما « ردود فعل عقليـــة » تتراكم فيما أسماه باللاوعى . وردود هذه الافعال تتطور كل يوم بمـا تكسبه من تجارب جديدة . حتى اذا جاء الوقت المناسب ، ظهـر بعضها ليواجه الصدمات النفسية التى يتعرض لها الانسان .

ووجد فرويد ان الغريزة الجنسية هى المحرك الاساسى للسلوك الانسانى . ومع ذلك . فقد أعطى فرويد تلك الغــريزة كثيرا من الجوانب التى تعارفنا على تسميتها بالجوانب « الاجتماعيــة » . فمفهوم الجنس عند فرويــد لا يضيق حول العمليــة الجنســية وحدها ، وانما يتسع كى يشمل جوانب متعددة من النشــاطات . والطاقة الليبيــدية فيه تتصــرف عند النمو الى اهتمامات كثــيرة « غير جنسية » .

ومن ناحية أخرى ، أعطى فرويد سلوك الاطفال بواعث جنسية سافرة . وقــاده البحث فى الجنس فى الطفولة الى مركب أوديب

ولم يكتف فرويد بارجاع الامراض النفسية الى اضطرابات جنسية ، وانما فسر السلوك الجنسى السوى بأنه تعبير عن سلامة هذه الغريزة

كذلك بدأ فرويد ، عقب وفاة والده ، فى تسجيل وتحليل احلامه الخاصة منذ طفولتــه ، أى تحليل نفسه ذاتيــا . فتأكدت له قوة





فرويد واقفا الى جانب والده



فرويد في السادسة عشرة



فرويد مع والدته في السادسة عشرة



فرويد (الثالث من اليسار بالصف الخلفي) مع أسرته وهو في العشرين



فرويد واقفا الى جانب زوجته



فرويد وزوجته مارثا في عام ١٨٨٥







فرويد في نهاية القرن الماضي

المنوم والايحائي الفرنسي شاركوه الذي درس
عليه فرويد في باريس خلال محاضرة له





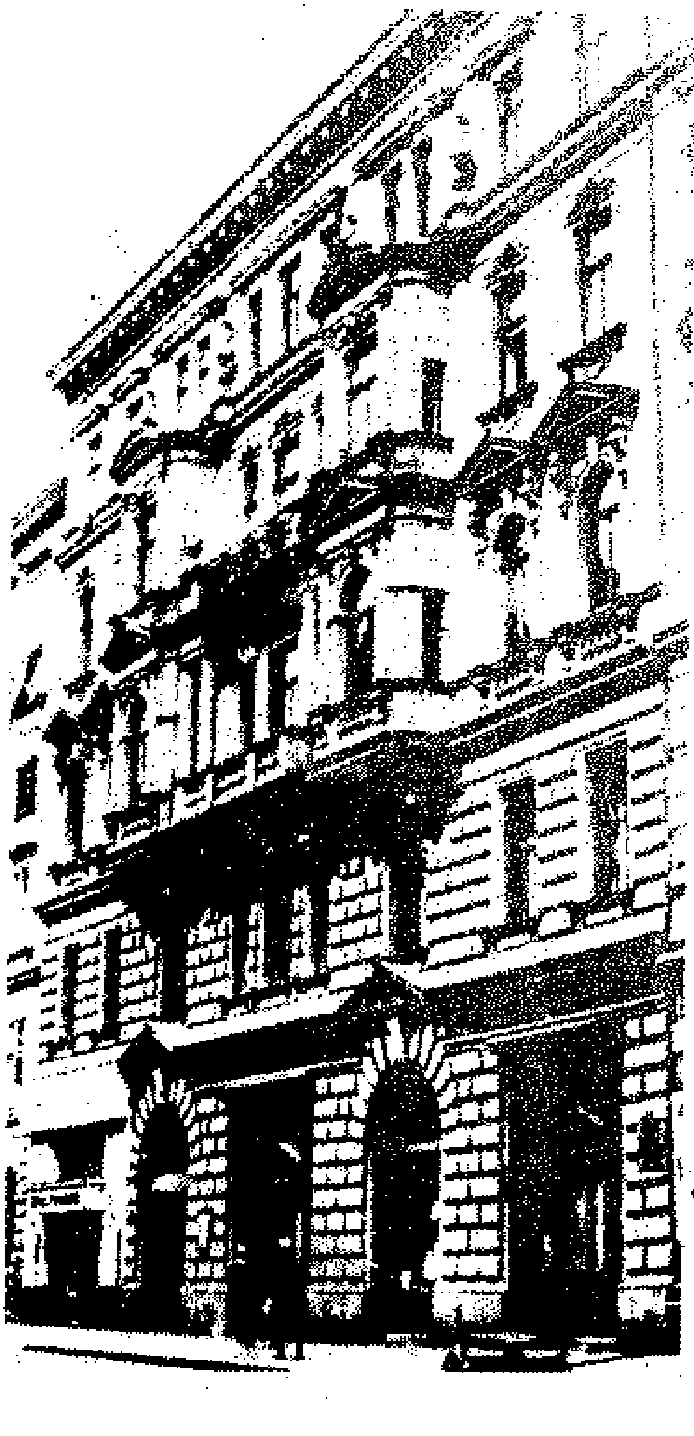
اللجنة الداخلية لاتحاد المحللين النفسيين ببرلين عام ١٩٢٢ ، ويرى بالصف الأول من اليسار لليمين . فرويد - فيرنزي - ساكس - وبالخلف رانك - ابراهام - ايتنجون - جونز -



فرويد مع صاحبه فليس



فرويد وزوجته مع ابنتهما أنا

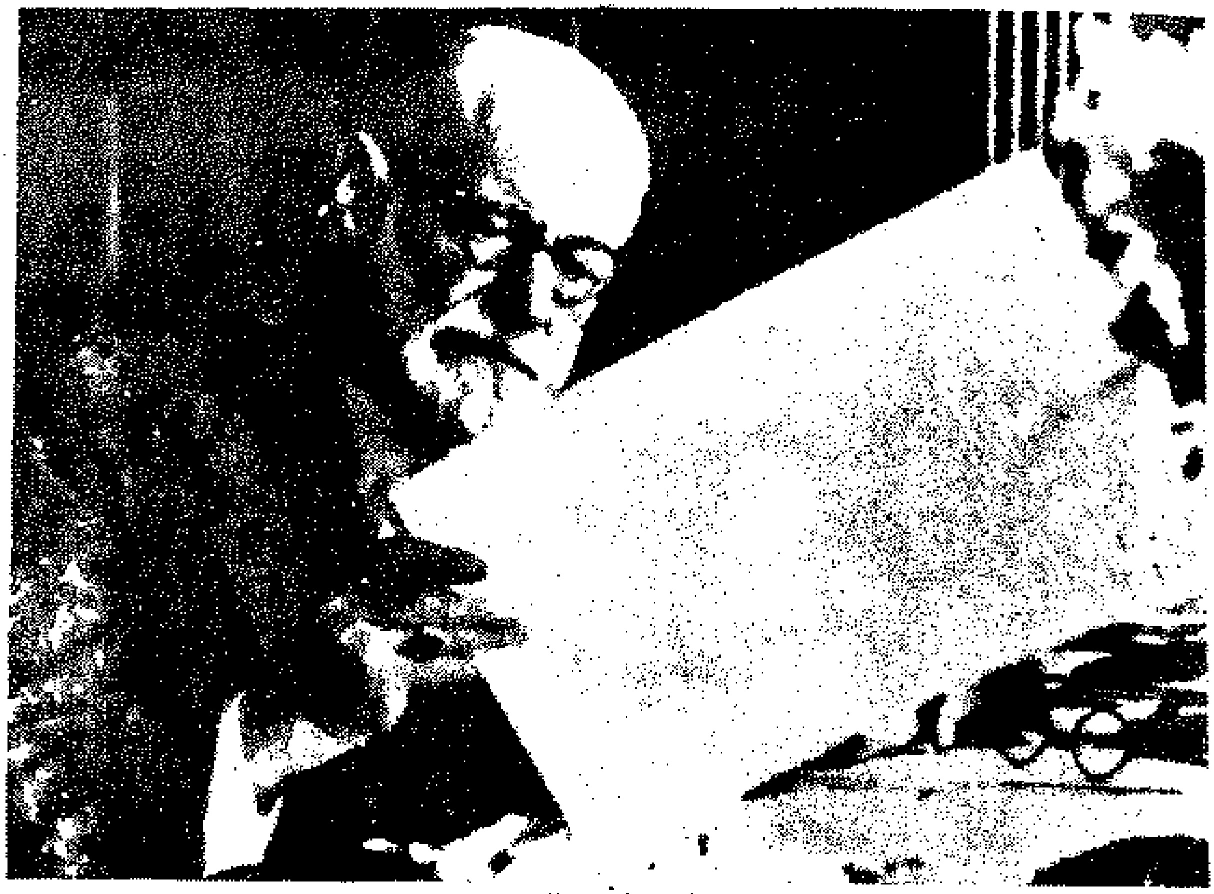


منزل فرويد وعيادته في فيينا وقد تحولا
الى متحف وطني منذ عام ١٩٧١





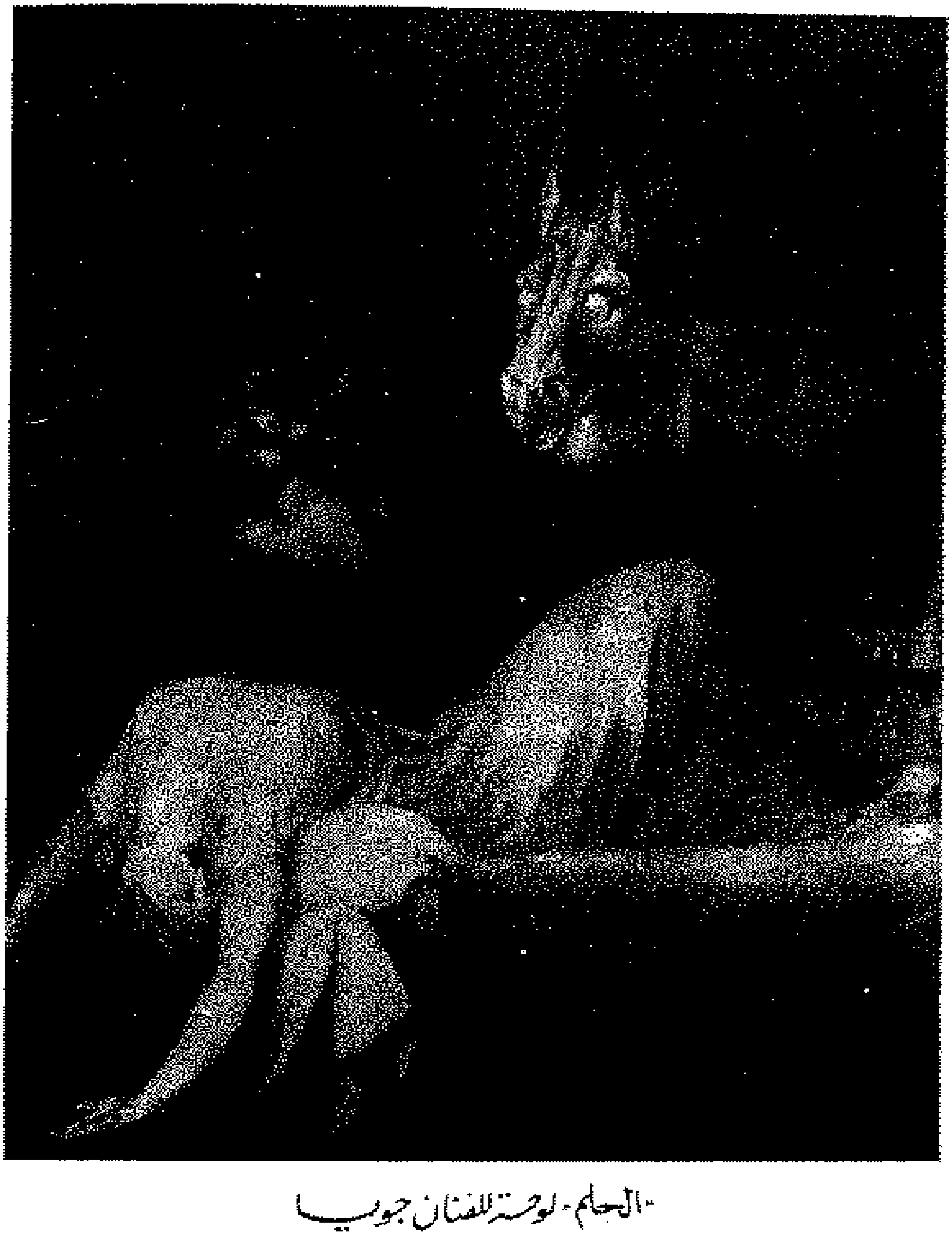
فرويد مع ابنتـــه أنـــا



فرويد في الثانية والثمانين



فرويد مع اثنين من أحفاده



- الحلم - لوحة للفنان جويا

العلاقة بين الجنس والطفولة . وتأثير انحراف الجنس فى الطفل على ظهور علامات غير سوية فى البالغين .

ووجد فرويد أن رموز الاحلام كثيرا ماتظهر « رغبات جنسية فجة » . ولكنه حذر من أنه « لاينبغى الظن أن لجميع أحلامنا بواعث جنسية » .

فمثلا ، وجد فرويد أن « الملك » أو « الملكة » فى الحلم كثيرا ما يرمزان الى الاب أو الام فى الحقيقة .

وأن « السفر » أو « الخروج » قد يرمزان الى الموت .

وأن « الملابس » قد ترمز الى العرى .

وأن « العصا » أو « الشجرة » أو « المظلة » أو « المسمار » أو « السيجارة » أو « السكين » يرمز كل منها الى عضو التذكير فى الانسان .

وأن « القارب » أو « البوابة » أو « الزجاجة » أو « القوقعة » أو « العين » أو « التفاحة » أو « الصندوق » أو « الدولاب » أو « السفينة » يرمز كل منها الى عضو التأنيث فى الانسان .

وأن « الطيران » أو « الرقص » أو « الوقوع » أو «العزف على البيانو » ترمز الى العملية الجنسية .

وأن « سقوط الاسنان » أو « العمى » يرمزان الى الخصى أو العجز الجنسى .

* * *

يقوم مفهوم فرويد عن الجنس على نتائج الخبرات الجنسية الكامنـة وراء أعراض مرضاه ، وتذكرهم لمواقف طفلية مبكرة يكشفون فيها عن تلك الخبرات • وكذلك على نتائج درس مظاهـر الشذوذ الجنسي ، حيث تبدو العملية الجنسية عند الفرد الشـاذ جنسيا بعيدة عن نشاطاته الجنسية الفعلية •

وقد كتب فرويد طوال حياته عن الجنس ، وأهميتـه ، وتطوره منذ الطفولة • ولكن أهم ماكتبـه فى هذا الموضوع هـو من دون شك دراسته « ثلاث مقالات فى نظرية الجنس » الذى نشـر لاول مرة فى ١٩١٠ • وقد توالت بعد ذلك ، وخلال الاعوام الاثنى عشر التالية ، ست طبعات من هذه الدراسة عدل فيها فرويد ، وزاد ، فى كل منها • وسنعتمد فى هذه الفقرة على هذا الكتاب •

درس فرويد موضوع الجنس من زاويتين أساسيتين • الاولى هى تاريخه منذ بداية البشرية • والثانية هى موضوعه ، متجـاوزا الموضوع الى مايحيط به من حواشى • وذكر فـرويد أن موضوع الجنس قديم فى « البشـرية » كما هو قديم فى « الفـرد » • فمن الطبيعى أن يكون تأثيره قويا • وأن تكون غريزته صعبـة الكظم • واذا ما حاولنا أن نكظمها ، أن تكون آثار هذا الكظم وبيلة علينا •

كذلك ربط فرويد ، كما يقول فولهايم ، بين تصـرفات كثيرة فى حياتنا وبين الدافع الجنسى • وقال أن هناك ، الى جانب الغريزة الجنسية « عوامل جنسية » لابد من أخذها فى الاعتبـار • كمثل النظر للغير ، ونظر الغير لنا • وكمثل لمس الغير ، ولمس الغير لنا •

وكمثل أحداث الالم بالغير ، وتحمل ألم الغير ٠

وقال فرويد أن الجنس يولد فى الطفل قبل الولادة ٠ وأنه يمر قبل البلوغ ، بـ « مراحل » مختلفة وواضحة ٠ وأن « تثبيتــه » على أى من هذه المراحل يعوق تطور الجنسية السوية للانسان ٠

وقال ان الجنس لايخدم فى بدايته غرضا محددا ٠ ولكن هذا الغرض يكتسبه الوليد من حاجاته الضرورية ، وأهمها فى هذا الوقت حاجته الى التغذية بلبن الام ٠ فتنشأ عنده غريزة الرضاعة ٠ أى امساك الطفل بثدى أمه ومصه مصا منتظما ٠ وتسمى هذه المرحلة التى تستمر حوالى العام « مرحلة سيطرة الفم Oral Phase »

ويكون فيها نشاط الفم هو أهم نشاطات الطفل ٠ وتكون الام هى الشخص الذى تمس اليه حـاجة الطفل أكثر من غيره ، لا لمجـرد الطعام وحده ، وانما للطمأنينة التى يجدها الطفل بين ذراعيهـا ٠ ومن هنا نرى أهمية الرضـاعة الطبيعية للمولود ، وضرر تغـذيته بالإلبان الصناعية ٠ ويقول السيكلوجيون أن كثيرين ممن يعانون فى حياتهم من سوء الهضم ،وأحيانا كثرة التقيوء ، كانوا فى طفولتهم سيىء الرضاعة ٠

وترسخ آثار هذه المرحلة فيما بعد فى صورة « القبلة » ٠

ويذكرنا فرويد ان اكتشاف المولود « لذة » الرضـاعة من ثدى أمه تخلق عنده أولى مراحل الغريزة الجنسية ٠ ويفسر تركيز هذه المرحلة حول فمـه ، التذاذه مص اصبعـه أو الحلمة الصناعيـة ؛ وكلاهما لا يغـذيانه ٠ ولكن غريزة الرضـاعة فى الطفل غـريزة

« مكتسبة » يرى فيها فرويد نموذجا لكل ماليها من طبقات •

وقد عدد فرويد بعد ذلك ثلاث مراحل أخرى للغريزة الجنسية، الاولى حول الشرج • والثانية حول الاعضاء الشبقية • والثالثة ، وقد أضافها بعد ذلك : هى المرحلة القضيبية •

وفى المرحلة « الشرجية Anal Phase » يقل اهتمام المولود ، بين السنة الاولى والثانية من عمره ، بنشاطه الفمى ، بعد فطامه ، واستهلاله السير • كما تبدأ الام فى توجيه اهتمام طفلها الى عادات التبول والتبرز وغيرها من مظاهر النظافة • فينتقل اهتمام الطفل ، نتيجة تلك الاهتمامات ، تدريجيا الى منطقة الشرج • وتنشأ عند الطفل لذة خاصة من ملاحظته لتأثير التبول والتبرز على من حوله ، ويتولد عن هذه اللذة ظهور علامات السرور والغضب الخ لنجاحه أو فشله فى التحكم فى اخراج بوله وبرازه •

وفى المرحلة « الشبقية Erotic Phase » تستمر نشاطات الطفل الجنسية فى المنح والمنع ، والسرور والغضب الخ • وقد ترسخ تلك النشاطات فيما بعد بمالها من قدرة على التوتر والارتخاء كما فى المستجنسين • أو تتطور عنها مشاعر العدوان والشعور باللذة من الالم كما بين المحبين •

وفى المرحلة « القضيبية Phalic Phasc » يبدأ الطفل من سن الثالثة الى حوالى السادسة ، فى الانتباه الى الاختلافات البيولوجية بين الجنسين • ويؤدى به اهتمامه الى الانتقال الى مرحلة جديدة ، يشعر خلالها الذكر بالشوف على عضوه الذكرى

من الخصاء نتيجة لخيالات جنسية طفلية تكون من أهم أسبابها المحارم الاجتماعية والخوف من الاب . واما الطفلة فتشعر خلال هذه المرحلة بالغيرة من فقدانها لقضيب مماثل لقضيب الذكر . وتصور لها خيالاتها أن هذا « النقص » يمس كمالها الجنسي وتغير من أمها التى « تمتلك » لنفسها رجلا خاصا بها .

يقول فرويد :

« أن البنات الصغار يلاحظن عضو التذكير في اخ او قريب لهن فيقارن بينه وبين اعضائهن ، و« يقمن » في جسده » .

ويقول دارسو فرويد

« ان هذه المقارنة ، وهذا الحسد « رمزى » وليس مادى وهو ينصب على مكانة الذكر الاجتماعية » .

وقد ذكر فرويد أن « اشباع » الغريزة الجنسية لا يتم ذاتيا . وانما عن طريق « مؤثر خارجى » . ولكن هذا ليس ضروريا في جميع الاحوال ، لان الاوهام قد تساعدنا على اشباع الغرائز ، كما في العادة السرية .

وذكر أن الاطفال ، أناثا وذكورا ، تتعلق جنسيا بأمهاتها . وينظر الطفل الى أمه على أنها « موضوع حبه Love Object »

واذا حرم الطفل من هذا الحب ، قد يتحول عن الطريق السوى الذى يؤدى بعد ذلك الى أشباع غريزته بطريقة سليمة . وفي هذه الحالة ، قد ينجح الطفل في التسامى بغريزته ، أو التأقلم معها ، أو الخضوع لها .

وفى المرحلة الجنسية الاخيرة ، تتعلق الصبية بوالدها ، ويستمر الصبى فى التعلق بوالدته ، فيما أسماه فرويد بـ « مركب أوديب Oedipus Complex » • ولكن تأثير هذا المركب يضعف بعد ذلك

طبيعيا ، نتيجة تغلب التيار العاطفى الذى نطلق عليه أحيانا اسم « الحب » عند خروج الطفل الى المدرسة واختلاطه بالمجتمع الى جانب ماهو واقع عليه من تأثير أسرته ، مما قد يعرضه لصراعات ويحتاج منه الى كظوم •

فاذا لم يتجه الطفل ناحية المجتمع ، والى خارج أسرته ، فانه يقع ، خصوصا فى الفتاة ، تحت تأثير عوامل قد تؤدى به الى الانحراف •

الكشف عن مركب أوديب

تأكدت علاقة فرويد بفيلهلم فلييس Fliess في نفس العام الذي توفى فيه والد فرويد ، وقطع فيه فرويد علاقته ببروير ، عام ١٨٩٦ . والغريب أن فرويد كان قد تعرف على العالم البرلينى فلييس (وهو يصغره بعامين) عن طريق بروير ، حين حضر الاخير الى فيينا فى ١٨٨١ لحضور أحد المؤتمرات ، فقدمه اليه بروير ، وقد استمرت صداقتهما حتى عام ١٩٠٢ . وكانت من أقوى وأغنى الصداقات . فقد كان فلييس (وكان طبيب أذن وأنف وحنجرة) على تعدد اهتماماته ، متمرسا فى البيولوجيا والرياضيات كثير البحث ، شديد الذكاء ، واسع الخيال ، وأحيانا « الشطحات »

ومن « شطحات » فلييس على فرويد ، مما ندم عليه الاخير بعد ذلك ، بحث العلاقة بين الامراض النفسية وشكل الوجه ، خصوصا الانف . على أن خطابات فلييس لفرويد ، وخطابات فرويد اليه (وقد كشف عن الاخيرة فى سنة ١٩٥٠ فى برلين بعد أن

أنقذت من دمار الحرب) تؤكد الالفة والثقة الكبيرة التى كان يوليها كلٌ منهما فى الاخر • وقد ازدهرت تلك العلاقة بين الاعوام ١٨٩٤، و١٨٩٦ ، ثم أخذت فى التراجع منذ عام ١٩٠١ • وانتهت تماما فى ١٩٠٢ • وتوفى فلييس صغيرا فى ١٩٢٨ •

لماذا كان يغضب فرويد بهذه الشدة على أكثر من عرف من أصدقاء وتلاميذ ؟ •

لقد قيل أنها بعض شخصيته المتشددة ، والبطريركية ، والتى لم تكن ترضى له بالتسامح - أو مجرد قبول المناقشة ، مع أحد من أصدقائه وتلاميذه • وقيل أنها يهوديته ، واحساسه بالعزلة فى فيينا • وانها « انعكاس من غضبه السابق نحو والده » • وأنها خروج العديد من تلاميذه عليه • وأنها السرطان الذى أصابه منذ عام ١٩٢٣ واستمر يؤلمه ويعذبه حتى آخر حياته •

* * *

كتب فرويد لفلييس بعد وفاة والده بأيام :

« ان وفاة والدى قد اثرت على تاثيرا قويا • فقد كنت اقدره تقديرا تاما ، وافهمه فهما كاملا • وقد لعب دورا كبيرا فى تشكيل حياتي ، بسبب تكوينه الذى يمزج بين الحكمة العميقة والفانتازيا الخفيفة • لقد عاش معي طويلا • ولكنه منذ توفي ، توالت على ذهنى صور الايام التى عرفته فيها • اننى فى غاية الاسى » •

نعم • لقد هزت وفاة والد فرويد حياته من أساسها ، وطرحت أمامه أسئلة واستفهامات كثيرة • وجعلته يتساءل عن حقيقة مشاعره

نحو والده • وأيضا صدق ماوصل اليه من نظريات . ومافرض من علاجات .وما يواجهه أحيانا من مشكلات عويصة •

ويقول أرنست جونز : ان السلوك غير السوى للآباء (أو الكبار) نحو الابناءهو الذى يؤدى الى كظم غريزتهم الجنسيـــة . وظهور سمات القلق النفسى عليهم • ويؤدى هذا الى سلوك غير سوى عن الابناء نحو آبائهم (ونحو المجتمع) • ويؤكد جونز أن شيئا من هذا قد حدث لفرويد وهو فى الخامسة من عمره •

ويقـــال أن فرويد قد نقــل نظريته التى نتكلم عنهــا « نظرية الاغواء Seduction Theory » والتى أطلق عليها أحيـــانا اسم « الصدمة الجنســـية The Sexual Trauma » عن شـــاركوه • وجعلها أهم أسباب النيوروز • ولكنه تخطاها بعد ذلك الى درس الجنس فى الطفولة ومركب أوديب • قيل لابعاد الشبهة عن نفسه وعن والـــده •أو ؛ كما كتب هو لفلييس ؛ لانه من غـــير المعقول أن تكون اساءت الكبار للاطفال بهذا الانتشار •

على أن من تلاميذ فرويد المحدثين من يظن أن نظريتـــه كانت صحيحة • وأنه كان من الواجب عليه أن يتابعها والا يتركها •

* * *

وفى ١٨٩٥ أخذ فرويد باقتراح فلييس بأن يبدأ بتحليل ذاته ؛ محاولا أن يستعيد ، وأن يفسر أحلامه ، منذ كان طفلا • وكتب فى ١٨٩٧ الى فلييس :

« ان نفسي ، انا ايضا ، قد اثقلت بالحب لوالدتي ، وبالغيرة من ابي . حتى انني اعتبر هذه المشاعر الان ظاهرة عامة تشمل جميع الاطفال . فاذا كان هذا صحيحا ، فانه يؤكد لنا حقيقة مركب اوديب » .

وكتب أرنست جونز : أن تطوير فرويد لاسلوب التحليل النفسى هو أحدى معجزتين بارزتين فى حياته . وأما المعجزة الثانية فهى تطبيقه لهذا الاسلوب على طفولته ، ثم اكتشافه لمركب أوديب .

وقد وجد فرويد فى تحليله لذاته أنه كان يغار بشدة من أخيه الاصغر يوليوس ، الذى كان يصغره بعام واحد ، ثم لم يعش اكثر من أعوام قليلة . ووجد أن وفاته قد أصابته بالاسى والندم

وظن فرويد أن سبب قلقه النفسى بعد ذلك هو غيرته من ابن أخيه : جون ، الذى كان يكبره بعام واحد . وكان « صديقا حميما وعدوا رهيبا » له . وكانا معا يحيكان المؤمرات الصغيرة على ماسبق القول .

ووجد أن حبه لوالدته وغيرته عليها كانا طاغيان . وأن مشاعره نحو والده كانت تتراوح بين الحب والكراهية ، وبين الاعجاب والاسى . وأن هذه المشاعر قد سببب له أحلاما مزعجة كثيرة وهو طفل . وروى فرويد أنه وهو فى السادسة ، وكان ينام بين والديه على فراشهما ، قد تبول فى الفراش . فثار عليه والده ، وقال له : انك لن تكون يوما شيئا ناجحا . وكان فرويد يتذكر هذه الكلمات بعد ذلك أمام كل تحد يصادفه ، فتملأه بالعناد . ولا تبرح الكلمات ذاكرته اذا ما واجهته صعوبة . وعندما كبر والده ، وأقعده المرض ، وأصيب بالعمى ، وأخذ هو فى مساعدته فى تغيير ملابسه ؛

والتبول والتبرز على سريره ، كانت مشاعره نحو والده تتراوح بين الشماته والاسف ! .

* * *

اكتشف فرويد أن « مركب أوديب » هو « صميم مشكلة الجنس فى الطفولة . وبعد ذلك فى حياة البالغين . وحجر الاساس فى التحليل النفسى . (اذ هو) البذرة الاصلية والمحرك الفعلى فى الاحلام ».

ويصف فرويد مأساة أوديب الاغريقية ، حيث قتل الابن والده وتزوج من أمه ، بأنها « تصوير مستتر لرغبة الطفل فى بلوغ الفحش الذى يصده المجتمع عن اقتـــرافه » . ويقول : « ان واجب كل انسان عصرى هو أن يتغلب فى نفسه على هذا المركب » .

وفى هذه المأساة الاغريقية يحـــذر المنجمون الملك مما سيفعله به ابنه . فيأمر الملك بأن يقتل وليده . ولكن الام تهربه من القصر الى بعض الرعاة ، فيربونه بينهم عارفين بحقيقته ، حتى يشب عوده ويقوى جسده ، ويلمع ذهنه . وحينئذ يتمكن الابن من العـــودة واغتصاب عرش أبيه ، والزواج من الملكة ، والدته . وينجب منها أبنائهما . ثم يجىء من يفتـــح عيونهم بالحقيقـــة ، ويثبتها لهم . فتقتل الام نفسها . ويفقأ الابن عينيـــه .

ولا ننسى هنا المعنى الجنسى الواضح ، عند فرويد ، للعينين . يقول فرويد : «أن الانسان السوى يشمئز من أى اتصال جنسى بين الاب ووالدته .. بينما هو فى الحقيقة يرجوه » ! . أنظر الى ماثبت من وجود شـــبه واضح بين الام والزوجـــة التى يختارها الابن .

ان الزوج كثيرا مايختار زوجته على غرار والدته .

« ومع ذلك .. فان هذه الحقيقة التاريخية (زواج الابن بأمه) التي يؤيدها ، بطريق غير مباشر فولكلور شعوب كثيرة ، لم تجد يوما من يجرؤ على التصريح بها ، في اى حضارة من حضارات العالم » .

يقول فرويد :

« ان في خيالات المراهق دوافع صبيانية ، تظهر بين كل حين وآخر في احلامنا . ومن أهم هذه الدوافع ، الدوافع الجنسية التي تراود افكار الابناء ، كالنغمة المترددة ، نحو والديهم . ويحدد اتجاه هذه الدوافع نوع المولود . فبعد المرحلة الاولى من اتجاه المولود نحو والدته ، يرغب الصبي في والدته ، ويغير عليها . وترغب الصبية في والدها ، وتغير عليه . ولكن مع رفض ، وتراجع ، هذه الدوافع الجنسية الاولى ، تتكون واحدة من اهم المعجزات السيكلوجية ، وهي كظم الصبي والصبية لهذه المشاعر تحت تاثير المجتمع ، وظهور الحب . فيكون تحرر الابناء على سلطة الاباء واستقلالهم في المجتمع » .

يقول فرويد :

« ان القلق الذي يحدثه السلوك غير السوي في الطفل ، يؤدي به الى خوف جنسي ، وهو خشيته من ان يعاقبه والده باستئصال قضيبه . ويؤدي بالصبية الى شعورها بالنقص لحرمانها من هذا العضو الذي تراه في الصبيان . وينتهي هذا الى غيرة الصبي من والده ، وغيرة الصبية من والدتها ، ورغبة كل منهما في الاستحواذ على مكان الوالد او الوالدة » .

هذا الخوف الذي يتمثل في خشية الطفل من اعتداء والده عليه ، نفه فرويد بعد ذلك صريحا في حالة المريض « هانز الصغير

« Little Hans » الذي ثبتت فى ذهنه تلك العقدة . واحتاج الى علاج طويل حتى شفى منها على يد فرويد .

واذا كان هذا هو شعور الرجل العادى نحو والده ووالدته . فما هو شعور الدون جوان أو الكازانوفا ؟ ! .

يقول فرويد : ان مثل هـذا الشخص قد تأثر بوالدته تأثيرا زائدا ، لم يستطع التخلص منه . وأن اهتماماته الظاهرة بنساء كثيرات تخفى صعوبات جنسية بالغة معهن . وأنه كثيرا مايكظم فى نفسه رغبة شديدة لاشخاص من جنسه .

* * *

لم يكن سهلا للعالم . وحتى لاصدقاء وتلاميذ فرويد . قبول كل آراء فرويد حول الجنس ، ودوره فى الطفولة . ومركب أوديب الخ لقد لقيت هذه الآراء معارضة قوية من الخاصة . وساخرة بين العامة . وحتى بين أصدقاء وتلاميذ فرويد . نجد « يونج Jung » يرفض تمييز الغريزة الجنسية عن غيرها من الغرائز فلا يسلم لمركب أوديب الا بقيمة رمزية فقط . ونجد « أدلر Adler » يصر على أن العدوان هو أصل الغرائز كلها ، وأن لكل مشكلة سيكلوجية فى بدايتها مركب نقص عضوى .

وقد قطع فرويد علاقته بأدلر منذ ١٩١١ ، وبيونج منذ ١٩١٤ .

القلق النفسى يولد النيوروز (العصاب)

يظن أرنست جونز أن فـرويد كان قلقـا منذ طفولته • وأنه أصيب وهو فى الثلاثينات من عمره بأزمات قلبية متكررة . عزاهـا طبيبه الى انسـداد فى الشـرايين ، ووصفها جونز بأنهـا كانت « هستيرية » • وأرجـع فولهايم قلق فـرويد وهو فى طفولته الى خشيته من الموت ، وبالذات بسبب وفاة أخيه الصغير يوليوس • ثم وفاة ابنة فرويد « صوف Sophie » فى طفولتها • وعنـدما توفى والد فرويد وهو فى الاربعينات ، ظنها فرويد « ضربة قاضية » لتعقد مشاعره وشعوره بالذنب ، الذى تحدثنا عنه ، نحو والده •

وكان فرويد قد لاحظ ، فى حوالى ١٨٩٥ ، العلاقة بين حـالات القلق النفسي والجنس • وقال أن أسباب القلق تعـود « لسنوات الطفولة ولطبيعـة الحيـاة الجنسية للطفل ، وتصـارع العوامل الشخصية والاجتماعية فى نفس الطفل ، واضطراره الى كظمها » •

ثم قال بعد ذلك أن انحباس الليبيدو يولد القلق • والقلق هو الذى يولد الكظم • وليس الكظم هو الذى يولـد القلق • وأما النيوروز (العصـاب) فيسببه ، عند فرويد ، الفشـل فى تحقيق

رغبات مكبوته • وهنا يمكن للانســـان أن يتســـامى بغريزته ، أو يتحول عنها . أو يخضع لها • ولكن هذا ليس سهلا ، لشدة العواطف التى تحكمة •

وكان فرويد قد قال أن سبب القلق قد يعود الى «اساءة جنسية» كثيرا ما يسببها أب . أو بالغ . للطفل • ولكنه فى ١٨٩٧ تخلى ، كما ذكرنا . عن هذه الفكرة جزئيا وقال : ان سبب القلق النفسى ليس بالضرورة اساءة جنسية من الاب للطفل » •

فاذا تمكن النيوروز (العصاب) ظهرت عـــلى المريض مظاهـــر وسمات غير عادية ، منها الارتياب ؛ والخوف . من أشـــياء محددة أو غير محددة . والاتيان بحركات غير عادية ، وظهور آلام حـــادة على بعض أجزاء جسمه •

ووظيفة المعالج ، عند فرويد ، هى التخلص من كل مايظهر من هذه الظواهر •

« لانهـــا هى كل مايتبقى من النيوروز • وحقيقى ان الاطبـــاء يفرقون بين المرض وظواهره ، ويعلنون أن التخلص من الاخير لايعنى القضـــاء عـــلى المرض • ولكن مايتبقى من المـــرض النيوروزى بعـــد القضـــاء على ظواهره هو قـــدرته عـــلى احـــداث ظواهر جديدة • ولهذا فاننا نرى ان القضـــاء على هذه الظواهر هو نفسه قضاء على المرض » •

وقد عالج فرويد فى فيينا عدداً من المرضى بالنيوروز (العصاب) لعل أشهرهم هو الضابط فى الجيش النمساوى ، والذى يرمز اليـــه بأسم « الرجل الفأر Rat Man » • وكان هذا الضابط قد استشار

فرويد لاول مرة فى أواخر ١٩٠٧ ؛ واستمر علاجه حتى بداية عـام ١٩٠٩ • وقد نشر فرويد تفاصيل تلك الحالة أواخر ذلك العام •

شكا « الرجل الفار » لفرويد من خوفه الشديد عـلى بعض من يحب ، وهما أبيه واحدى السيدات • ومن تفكيره أحيانا فى التخلص من الحياه بقطع رقبته بموسى الحلاقة • فلما تحدث اليـه فرويد مرات ، ظهر له أن السبب الذى فجر مخاوف الضابط هو ماسمعه من زميل له فى الجيش النمسـاوى من أن الصينيـين كانوا اذا ما أسروا بعض الاسـرى ، يعذبونهم بتثبيت سلة بها فئران جائعـة حول مؤخرتهم • فلا تجد هذه الفئران أمامها سبيلا للخـروج أو للطعام الا قرض مؤخرات هؤلاء الاسرى ! •

وقد تأثر الضابط تأثيرا شديدا بما سمع • وأخذ يفكر فيما قد يحدث لاحبائه ، أى والـده وتلك السيدة ، اذا ماوقعوا أسـرى فى أيدى الصينيين ! •

وكان الضابط يروى قصته الغريبة ، على عادة مرضى النيوروز (العصاب) فى هدوء ، وعن اقتناع تام بها • وكان يثور لمناقشـة فرويد له فى تفصيلاتها • حتى أنه كاد يعتـدى عليه اعتداء بالغـا عقب احدى الجلسات • ولكن فـرويد وجد عنـدما استدرجه فى الحديث عن هذه السيدة ، أنها كانت حبيبة له ، ولكنهما افترقا منذ شهور ، وعندما استدرجه فى الحديث عن والده انه كان قـد توفى قبل تسع سنوات من تلك الرواية ! •

* * *

ان الخيال عند الفرويديين مهم كمثل اهمية الحقيقة ، حيث ان الاصل فى الخيال ، كما فى الحقيقـة ، هو « الدافـع » وآثاره على على النفس •

ولكن الفرويدية توحد بين الجنس وغرائز الحياة • وترى ان « الغريزة الجنسية Sex Instinct » هى مركز الطاقة النفسية وأصل النشاط العقلى • وأن الغريزة الجنسية تنشط طبيعيا عنـد احتداد عاطفتها : فتبعث الحركة فى الانسان •

وقد جعـل فرويد من الغـريزة « الجنسية » غريزة أسـاسية ومحركة لكل نشاطات الجسم • ولكنه سلم ، خصوصا فيما بعد ، بوجود غرائز أخرى • كغـريزة الحب « ايروس Eros » التى تزيد ، وتحـافظ ، على الاشـياء • وغـريزة المـوت « ثاناتوس Thanatos » التى تدمر الاشياء • ومـع انه رفض فى حوالى ١٩٠٩ قبول غريزة منفصلة لـ « العدوان Aggression » تناظـر غريزة « الجنس » • وكان هذا من أهم أسباب خلافه مـع أدلر ، الذى تمسك أيضا بمركب النقص ، فانه قد عاد فى ١٩٢٣ فكتب :

« اننى أسلم الان بوجود غريزة للعدوان حتى وان كانت تختلف عن الغريزة التى وصفها ادلر » •

وكان فرويد قدلاحظ بعض أوجه الشبه بين غريزتى « العدوان » و « الموت » ولكنه كان دائم التشبث بالاخيرة ، لان « الغـرض من كل أشكال الحياة هو الموت » • وكان قدلاحظ أن كل انسان متحضر **« يتجنب قدر المستطاع ان يتحدث عن موت الاخـرين • بل انه لايتصـور نفسـه متمنيا موتهم ، دون ان يتهم نفسـه فى**

مشاعره ، ووصفها بالقسوة وسوء النية . اللهم الا اذا كان طبيبا أو محاميا او و شيئا من هـذا القبيل ، وكان عليـه ان يتعـامل مع فكرة المـوت من وجهـة النظـر المهنيـة . وفي غير هذه الاحوال ، لايسامح الانسان المتحضر نفسـه اذا تطرق تفكـيره الى تمني الموت للاخرين ، خاصـة اذا كان في موت الاخرين بعض النفع له ، كأن يحصل على حرية او يكسب بعض المال او يفوز بمركز من المراكز » .

الى أن يقـول :

« لقد تعودنا ان نؤكد ان الموت ياتي بالصدفة ، في حـادث ، أو بسبب مرض أو عـدوى ، او بفعل الشيخوخة . وبهـذه الوسيلة كشفنا عن محاولتنا التقليل من شأنه . فبدلا من ان ننظر اليه كضرورة ، اعتبرناه حادثا وعرضا . ولكن ربما كان شعورنا تجاه الشخص المتوفى هو شـعور المعجبين بشخص استطاع ان ينجز عملا شاقا وان ينتهي منه . فنحن نؤجـل نقـده . ونتجـاوز عن اخطائه .. ونهتف صائحـين : الله يرحمه .. ونجد في هذا التعبير مايبرر ان نسـتعيد محاسنه وان نتناسى مالا ينفـع ذكراه ولكن فكرة موت الالاف تبـدو لنا في نفس الوقت بشعة جدا ، الا مع الحـرب التي تكتسح نظرتنا التقليدية الى الموت . فالحرب تواجه الانسان بالموت وتجبره على الاعتراف والاقرار به . لان الناس في الحـرب لايموتون بالاحاد ، بل بالعشرات في وقت واحد ، بل بعشرات الالوف في اليوم الواحد . ولذا لايعد الموت في الحرب صدفه . فان حصيلة الاحتمالات هنا لاتدع قولا للصـدفة . وبانتفاء هذه الصدفة ، تستعيد الحياة اهميتها ومغزاهـا ، وتستقيم نظرة الانسان اليها » .

ويقول فرويد أن موقف الانسان البدائي من الموت « قـــد تميز بالتناقض » . لانه لم يكن ينظر الى الموت نظرة واقعية يسلم فيها بنهاية الحياة . ويتعامل معه بهذه الصفة .

« ويرجع هذا التناقض أساسا الى التضـــارب في مواقفة من موت الاخرين من الاغراب والاعداء ، ومن موته هو نفســـه . فهو لم يكن يعتـــرض على موت الاخـــرين طالما انه يكرههم . فموتهم معناه ازالتهم من الوجـــود ، وهو لا يمانع في هـــذا . ولكن الانسان البدائي لم يكن يتصور انه هو ايضا سيموت ، مثله في ذلك مثل أى انسان آخر . فاذا مات شخص عـــزيز عليه ، كزوجـــة أو طفلة أو صديقـــة ، ممن يحبهم حبا جما ، فهنا يعرف انههو نفسه ليس بمنأى عن الموت . ومعذلكفربما احس احساسا غامضا ان موت هذا العزيز له مايبرره ، فقد كان فيه دائما جزء غريب ومعاد لم يكن قد استدمجه فينفسه . « ويدعى الفلاسفةان صورة الموت قد حيرت الانسان البدائى ودفعته دفعا الى التفكير . وأن تفكيره كان نقطة البداية لكل تفكير فلسفي على الاطلاق . ولا اظن الفلاســـفة علىصواب فيما يزعمون ، واحسب انهم قـــد شطحوا في فلسفاتهم . وانا لذلك اشـــطح مثلما فعلوا ، فاقول : لم يكن الانســـان البدائي وهو يرمق جثـــة عدوه مطروحة في العـــراء ، يرهق ذهنـــه بالتفكير في لغز الموت والحيـــاة . لكنه كان يزهو بما حققه عليه من انتصـــار . وكان يرفض تقبل موت العـــزيز ، وتتضارب ازائه مشـــاعره . ولهذا تقبل الانســـان البدائى الموت كحقيقة ، لكنه رفض أن يعترف بأن الموت نهاية الحياة . وتصور أن الارواح الشريرة تخرج من جسد الميت ، وتخيلهـــا عفريتا مرعبا ، قد يعود اليها ، ويحتـــاج الى أن يتخلص وان يتطهر منها قبل مخالطة غيره » .

فرويد يدرس الفنون ويحلل الشخصية الانسانية

أخذت مكانة فرويد فى الازدياد ، وشهرته فى الذيوع : فى داخل وخارج النمسا ، منـذ بداية القرن الحالى • وفى عام ١٩٠١ بـدأ فرويد فى الاجتماع بتلاميذه فى عيادته مساء الاربعاء من كل اسبوع وفى ١٩٠٧ زار يونج فرويد فى فيينا • وفى العام التالى زاره فيها فيرنيتزى Ferencz • وعقـد المؤتمر العـالمى الاول للتحليل النفسى فى مدينة الموسيقى والاحلام « سالزبورج » فى جنوب غربى النمسا • وقد حضره يونج وأدلر بريل Boill وأرنست جونز •

وفى ١٩٢٠ ، اتفق فرويد مع ثمانية من أهم تلاميذه الاوربيين على الاجتماع بهم فى شكل مؤتمر مرة فى كل عامين فى مدينة أوروبية مختلفة • وقد أهدى فرويد ستة من أقرب هؤلاء التلاميذ بعد ذلك نسخة من الخاتم الذى يحمله فى أصبع يده اليمنى ، والذى يمثـل رأس كبير آلهة الاغريق جوبيتر •

وكان فرويد قد بدأ منذ عام ١٩٠٧ فى تطبيق التحليـل النفسى على الاعمال الادبية والفنية • وقد وجد أن الحاجة تمس لايجـاد منبر علمى ينشر فيه مع تلاميذه أعمالهم وبحوثهم ، فأصـدر مجلة

منتظمة جعل من أغراضها الاساسية ، الى جانب دراسة السيكلوجيا دراسة الاخلاقيات • وقد نشر فرويد فى ١٩١٤ « الطوطم والتابو (المحرم) » ، وفى ١٩١٦ كتابه عن « ليوناردو دافينشى » • وكان قد بدأ منذ ١٩١٠ فى نشر دراسته عن طبقات الشخصية الانسانية ، وهى التى جمعها فى ١٩٢٣ فى كتابه « الايجـو (الانا) والايـد (الهو) » (*)

ويقول أرنست جونز أن مادفع فرويد الى تناول مشاكل الفنون والآداب والميثولوجيا ، كان هو بعض ماقرأه من آراء صديقه وتلميذه يونج حول هذه المواضيع • فقد وجد فرويد أن يونج يناقش هـذه المواضيع مناقشة تاريخية ، وأحيانا أسطورية ، وحتى غيبية ، بينما كان فرويد يريد تحليلها سيكلوجيا وتفسيرها تفسيرا نفسيا • وقد امتد الخلاف بين فرويد ويونج بعد ذلك الى مواضيع أخـرى ، من أهمها حقيقة مركب أوديب ومقام غريزة الجنس بالنسبة للغـرائز الاخرى ودراسة الشيزوفرينيا (الفصام) •

يقول فرويد أن الشخصية الانسانية تتألف من ثـلاث طبقات هى الايجو (الانا) والايد (الهو) والسـوبراجو (الانا الاعلى) ولكن هذه الطبقات افتراضية ،وليست مادية • وهذا التقسيم الافتراضى ، غير النهائى ، هو ما أطلق عليه فرويد بالالمانيـة اسم « سيكلوجية الاعماق Tiefenpsychologie » أى أعماق النفس البشرية أو العلم الذى يكشف عما فى أعماقها •

وتتألف « الايد (الهو) Id » من مجموع الغرائز والعواطف التى تولد مع الانسـان ، والتى تحركها دوافـع الرغبـة واللذة

والعدوان ، كالجنس والطعام الخ • وهى تحتاج منـه ، مهما كان التناقص بينها ، أو صعوبة تحقيقها بسبب العرف أو المجتمع ، الى تلبية فورية •

و « الايجو (الانا) Egoe » هو هذا الجزء الذى يتأثر بالواقـع ويحس بالمجتمع ، ويقدر أن ماتطلبه غرائز الايد (الهو) ليس دائما مما يمكن تحقيقه • وان على الانسان العاقل أن يتصرف فى حدود ماهو ممكن فقط •

وتتكون « السوبرايجو (الانا الاعلى) Superego كنتيجـة لعلاقات الفرد مـع أسرته أولا ثم المدرسـة والمجتمع الخ • فهى مايطلق عليه أحيانا اسم « الاخلاق » أو « الضمير » • ونواهيهـا داخلية ، تتكون وتتبع من داخل الانسان ، بدلا من موانع (الايجو) الخارجية عنه •

والتباين بين هذه الطبقات الثلاث قد يكون كبيرا • والصراع بينها قد يحتـدم ، ولكننا لانشعر بهذا الصراع فى صحونا • وانما قد نشعر به خلال نومنا ، حين قد تفضحه أحلامنا •

* * *

ذكرنا أن نشاط فرويد كان كبيرا ومتعددا • فقد كان يستقبل ثمانى الى عشـر مرضى كل يوم ، ويكتب كتبـه وبحوثه ومقالاته ، ويرد على خطاباته بنفسـه وبخط يده • وقد ذكـر أرنست جونز أنه كان يرد على عشر خطابات من خطابات أصدقائه وتلاميذه خلال ساعة واحـدة •

ولكن فى ربيع ١٩٢٣ تأكد فرويد من اصابته بســرطان خبيث فى فكه الاسفل وأجرى أولى عمليات استئصاله • ولكن السرطان كان يعاود الظهور فى جهات مختلفة من الفك ، مما أرغم فرويد على اجراء علاجات كثيرة مؤلمة و ٣٣ عملية جراحية كبرى لاستئصاله • وكان أكثر هذه العلاجات وبعض العمليات يجرى دون تخـديـر • وقد سبب السرطان آلاما هائلة لفرويد ، وتوفى فـرويد فى النهاية بسببه ، بعدظهوره واجراء أولى عمليات استئصاله ، بستة عشرعاما

وقد اضطر السرطان فرويد الى أن يقلل من نشاطاته • فأنقص زواره ومرضـاه • وأوقف محاضراته العامة لصعوبة نطقـه للكلمات • بل ورفض كل دعوة للطعام ، اذ أصبح لايستطيع المضغ فى سهولة ، وتأفف من ذلك أمام الاغراب •

وكان النازيون الالمان قد رفضوا الفرويدية منذ بداية ظهورهم فى المانيا ، وأخـذوا يحرقون كتبها منذ عـام ١٩٣٣ • فلما دخلت جيوشهم فيينا ، فى ١٩٣٨ ، ضيقوا على فرويد حتى اضطروه الى اغلاق عيادته • ثم منع من استقبال أصدقائه، حتىاضطر للتوقفعن الكتابة • ومع ذلك ، فمما يدل على طبيعته ، أنه حين أحس بالفراغ أخذ فى ترجمة مؤلف صغير عنالسرطان من الفرنسية الى الالمانية

ولكن الرأى العام العالمى كان يضغط عـلى النازيين ، بحيث لم يكونوا يستطيعون المساس به رغم يهوديتـه وتبـاين أفكاره عن أرهم • ثم اضطروا بعد شهر واحد من دخولهمفيينـا للسماح الهجرة الى انجلترا •

وقد أستقر فرويد فى لندن فى أواخر ١٩٣٨ • ولكنه لم يمارس العمل فيها كمعالج • بل اقتصر نشاطه فيها على الكتابة وحدها •

وتوفى فرويد فى لندن فى ٢٣ سبتمبر ١٩٣٩ عن ٨٣ عاما •

تواريخ فى حيـاة فـرويد

١٨٥٦ ولادة سيجموند فرويد فى فرايبرج بمقاطعة مورافيا .

١٨٦٠ الهجرة الى لايبتزيج ثم فيينـا .

١٨٦٥ بداية المرحلة الثانوية فى مدارس فيينـا .

١٨٧٣ فرويد يختار بعد تردد دراسة الطب .

١٨٧٦/٨٢ الالتحاق بمعمل أرنست بريكه .

١٨٧٨ بداية علاقة فرويد بصديقه بروير .

١٨٨٠ الانقطاع عن الدراسة لاداء الخدمة العسكرية .

١٨٨١ الانتهاء من دراسة الطب والعمل فى حقل البحوث العصبية

١٨٨٢ فـرويد يدرس مع بروير حـالة مريضته « أنا أوه » ويتعرف على زوجته المقبلة مارتا بيرنيز .

١٨٨٢/٨٥ العمل طبيبا عصبيا بالمستشفى العام بفيينا .

١٨٨٥/٨٦ فـرويد يحصل على منحة ويختـار أن يدرس التنويم والايحاء على شاركوه فى باريس ، وعنـد عودته يعمل فى مستشفى سالبتربير ويبدأ عيادته .

١٨٨٦ الزواج من مارتا .

١٨٨٦ ,٩٣ العمل بمستشفى كاسوبتز بفيينا •
١٨٨٧ بداية علاقة فرويد بفليس •
١٨٨٩ السفر الى نانسي بفرنسا لدرس التنويم علىيدبيرنهايم
١٨٩٢ فرويد يجرب تداعيالافكار مع مريضته اليزابيث فون أر
١٨٩٥ فرويد ينشر مع بروير كتابه الاول « دراسات فى الهستيريا » •
١٨٩٦ القطيعة معبروير ؛ وبداية التعاون مع فليس ، واستخدام تعبير « التحليل النفسى » ، وفى أكتوبر وفاة والد فرويد (عن ثمانين عاما) •
١٨٩٧ فرويد يراجع أعماله ويحلل نفسه ، فيكتشف الجنس فى الطفولة ومركب أوديب •
١٨٩٨ الانتهاء من كتاب « تفسير الاحلام » الذى نشر بعد ذلك بعامين •
.١٩٠١ تدهور العلاقة بينفرويد وفليس • -
.١٩٠٢ تعيينه استاذا غير متفرغ بجامعة فيينا •
١٩٠٥ فرويد يبدأ رسائله مع استاذ بجامعة زيوريخ بلوليير ، ويتعرف عن طريقه الى يونج •
.١٩٠٧ فرويد يبدأ تجربة نظرياته على الآداب والفنون •
١٩٠٨ فرويد يحضر المؤتمر العالمى الاول للتحليل النفسى فى سالزبورج •
١٩٠٩ السفر الى الولايات المتحدة والحصول على الدكتوراه الفخرية من جامعة كلارك •

١٩١١ القطيعة مع أدلر ، وفتور العلاقة مع يونج •
١٩١٤ فرويد يقطع علاقته بيونج •
١٩١٥/١٧ تجهيز محاضراته التمهيدية متضمنة افكاره الكاملة •
١٩٢٠ نظريات فرويد تتسع لغريزة جديده هى غريزة الموت •
١٩٢٣ فرويد يتأكد من اصـابة فكه بالسرطان ويجرى أولى عملياته لاستئصاله •
١٩٣٠ وفاة والدة فرويد عن خمسة وتسعين عاما •
١٩٣٣ النازيون يحرقون كتب فرويد فى برلين •
١٩٣٨ النازية تطارد فرويد من النمسا فيتركها الى انجلترا •
١٩٣٩ وفاة فرويد عن ٨٣ عاما

بعض سلبيات وايجابيات الفرويدية

تناولت الفرويدية « نفس » الانسان كعلم ، له قواعــده التى تماثل علوم جسده • ووضعته موضع دراسة مقارنة يمكن تحديدها وفهمها • وجعلت للانسان خواصا نفسية موحـــدة يمكن القياس عليها وتحديد ما هو خارج عنها • وساهم فرويد بدراسات كثـيرة نحو فهم الشخصية الانسانية ، وتقديم الاجابات التحليلية والعلاجية والفلسفية لمشكلاتها • كذلك قدمت الفرويدية آراء هامة فىنواحى الاخلاق ، والفنون والآداب ، وألقت بنظـرات ثاقبة عـلى تاريخ الانسان ، ونشأة وتطور عقائده وأساطيره •

ومع ذلك •• هناك من يقول أن الفرويدية قد قامت على أساس أكلينيكى ، غير تجريبى ، يستهدف مساعدة المريض ، وليس تفسير ماهية مرضه • فهى ليست «علما» • أو هى تفتقر ، على الاقل ، الى أساليب القياس الرياضية التى تتميز بها العلوم الاخـــرى • وأن التحليل السيكلوجى عند فرويد ، وفهمه للنفس الانسانية ، أقرب الى الفلسفة منه الى العلوم • وأن بعضهـــا قد يؤلف « خيالات » فنان • أو هى مدلولات أو تفسيرات « لفظية » لبعض مئـــات من مرضى النيوروز (العصاب) من الطبقة المتوسطة بفيينا • ففرويد

من هذه الوجهة ، أقـــرب الى أن يكون عالمـــا لغويا قبـــل أن يكون فيلسوفا أو عالما نفسيا ! •

ويؤكد السلوكيون ، وعلمـــاء الوراثة ، على أن فرويد تجـــاهل تجاهلا تاما العوامل البيئية والوراثية التى قد تؤثر ، من دون شك ، فى سلوك الانسان •

ومن بين علماء النفس من يعارض فرويد فى أصول وتفاصيـــل كثيرة • بل أن أحدا منهم لم يوافقه موافقة كاملة عـــلى ما أسماه بـــ « غريزة الموت » •

ويتســـاءل بعض نقاد فـــرويد والتحليل النفسى : هـــل شفى التحليل الفرويدى مريضا واحدا ؟ ! •

ويقول غـــيرهم أن فـــرويد ، بحكم جذوره اليهودية ونشـــأته البطريركية ، قد قســـا قسوة شديدة عـــلى المرأة • فقد أكد على نقصها البيولوجى والغريزى ، وعلى غيرتها الجنسية الســـافرة من الرجل • ورأى فى « زهوها بجسدها تعويضا عن نقصها الجنسى » وفى « تواضعها رغبة دفينة فى مداراة هذا النقص » ! •

وعلاوة على هذا جعل فرويد من الحب مقابلا كاملا للشهوة • واعتقد أن ظهور الشهوة ، يعنى اختفاء الحب • وأن تفريغ الانسان عن شهوته يعنى تخطيه للخط الفاصل بين الحب والشهوة ، وتخليه عن صفات الحب •

* * *

لم يعد العلاج النفسى المعاصر يبحث عن أصول الصدام النفسى • ولم يعد المريض يستلقى على أريكة الطبيب النفسى ، ويتردد على عيـــادته مرات فى كل اسبوع • وانما أخـــذ العـــلاج النفسى يهتم

بمشاكل الحياة العصرية . كالعمل والنجاح والمال • ويستعين فى سبيل الوصول لنتائجه بكشوف العلوم الاخرى . كالبيولوجيا والاجتماع •

وأصبح العلاج النفسى يرتضى دراسة سلوك الانسان . بدلا من درس أحلامه •

ويستخدم الادوية المؤثرة على شخصية الانسان . بدلا من تحليلها • ويستعين بالعلاج الجماعى . أو العلاج الدوائى . فى تحقيق أهداف قريبة ومحددة •

ويحاول أن يقنع المريض بطريقة جدلية بضرورة اتخاذ طريق معين ، أو الاقلاع عن عمل شىء ضار •

ولكن فرويد لايزال للآن الرائد الاول للتحليل النفسى . والسيكلوجى البارز الذى درس الجنس . وتحدث عن دوافعه ؛ مثلما استبر غور الشخصية الانسانية ؛ وترك عنها فهما واضحا ومتكاملا • بل هناك من يؤكد أنه ، من دون منازع . أعظم علماء القرن العشرين ••

وقد ظهر أثر فرويد البارز لا فى علم النفس وحده . وانما فى علوم كثيرة كالفسيولوجيا والفلسفة والانثروبولوجيا والسوسيولوجيا والبيداجوجيا الخ ، وعلى نشاطات متعددة فى الآداب والفنون •

وقد سبق القول الى أن دراسات فرويد الاولى قد أشارت الى آثار الهرمونات الجنسية التى أكتشفت فى الذكر والانثى بعد ذلك •

وفى الفلسفة ظهر تأثير فرويد واضحا على المدرستين الالمانيـة والانجليزية والامريكية . كما مثله الفيلسوف الالمانى ماركوس Marcos الذى أثر بشدة فى اليسار الاوربى . وبعد ذلك الامريكى . والسوسيولوجيين الامريكيين هورنى Horney وفروم Fromm اللذين عالجـا . مع تلاميذهما المختلفين . مشاكل المجتمع والثقافة الغربية . كذلك أثرت المدرسة الانجليزية « المناهضة للطب النفسى Antipsychiatric فى المجتمع الغربى ببحوث ومناقشات كبيرة النفع .

وقد ذكر الشـاعر الانجليزى أودين Auden أن فـرويد « لم يعدبالنسبة لهذا الجيل شخصا ، وانما أصبح مناخا كاملا له » .

وفى القصة بالذات . ظهر تأثـير فرويد واضحا عـلى مدرستى توماس مان Mann وجيمس جويس Joyce بالذات . بل أننـا لانجاوز الحقيقة اذا قلنا أنه ليس هناك أديب أوفنان معاصر يستطيع الآن أن يتجاهل السيكلوجية الفرويدية فى انتاجه . واذا التفتنا الى زاوية واحدة . هى علاقة الطفل بوالديه ، فهل يستطيع أديب أو فنان أن يصنع عملا أدبيا أو فنيا من دون أن يحيط بالأسرار الكثيرة التى كشف عنها فرويد فى هذه الناحية ؟ .

لقد قام دومينيك فونانديه بدراسة لموسيقى موتزار Mozart فوجد أن شخصية « والـد » موتزار تتسلط على موسيقاه . وأن بعض مقطوعاته تفضح الازمة بين هذا الموسيقى العظيم ووالده . وتعلو وتعلو كى تحتج عليه وتثور على استبداده به . وقد حاول موتزار أن يتزوج من حبيبة له ، ولكن والده منعه عن ذلك ، فاختار الموت على الحيـاة .

واذا نظرنا الى تأثير فـــرويد على الفنون السريالية . وجـــدنا أن السرياليين يعتبرون فـــرويد هو « الاب الروحى » لمدارســـهم . فهم لم يلتفتوا الى ما سبقهم من مذاهب . بـــل مزجوا عـــلى ضوء تعاليمه وبطرق غـــاية فى الابتكار والتجديد . بين الحقيقة والحلم . والجد والهزل . والصراحة والغموض . وقد لجـــأوا الى الرموز . والاساطير . واستعانوا بالجنس . وترجموا الغرائز . خصوصـــا غريزة الموت . كى يخرجوا لنا بأشكال جديدة من هذا الفن .

كتابات فرويد حتى الحرب العالمية الاولى

ذكرنا أن كشوف فرويد وكتاباته لم تلاق الا التجاهل و التصغير والسخرية فى احيان ، فى داخل النمسا وخارجها طوال سنوات كثيرة وأن آرائه ، خصوصا فى الجنس ، وعن مركب أوديب ، قد نفرت منه كثيرا من الاصدقاء والتلاميذ . حتى ان بروير قد قطع علاقته به بعد نشرهما لكتابهما « دراسات عن الهستيريا » . وعندما نشر فرويد كتابه « تفسير الاحلام » فى ١٩٠٠ اثار عليه ضجة كبيرة بين علماء وأطباء فيينا . رغم أن الكتاب لم يوزع فى طبعته الالمانية الاولى سوى ستمائة نسخة .

ومع ذلك ، فان هذه النسخ القليلة كانت بداية معرفة العالم الخارجي بفرويد وكتاباته . فقد سمع استاذ جامعة زيوريخ بسويسرا الالمانية « بلولر Bleuler » بهذا الكتاب ، وقرأ لفرويد بعض كتاباته الاخرى ، فاشتد اعجابه به وأخذ فى مراسلته . ثم قرر فى ١٩٠٧ أن ينتقل اليه زائرا مع تلاميذ جامعته ، فى زيارة شهيرة الى عيادته فى فيينا كانت أشبه بالحج . وقد قدم بلولر فرويد الى استاذ

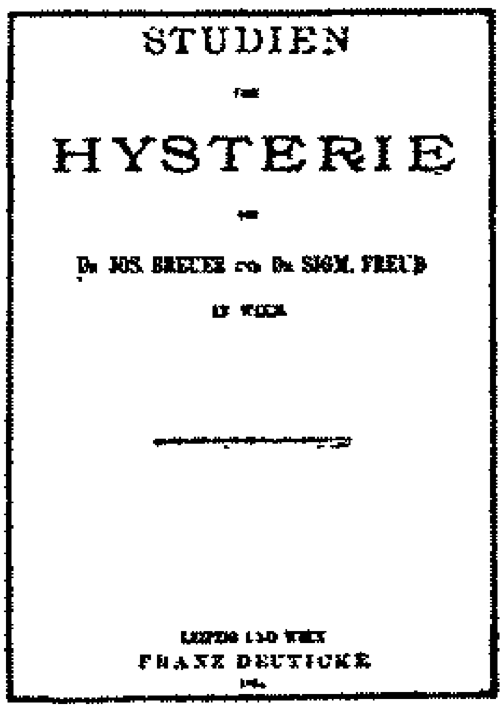
سويسرى آخر . هو يونج • وكانت معرفته ببلولير ويونج هي بداية أكتشاف العالم الخارجي لذلك العبقرى الفيينى •

وفى ١٩٠٨ . اجتمع فرويد مع بعض من تلاميذه فى شكل مؤتمر علمى فى سالزبورج • وألف فى العام التالى . ١٩٠٩ ، فى فيينا « جمعية التحليل النفسى » • وفى نفس العام . سافر فرويد الى الولايات المتحدة لالقاء بعض المحاضرات وللتعرف على اساتذة علم النفس بها • وقد أهدته جامعة كلارك الدكتوراة الفخرية •

وفى ١٩١٠ . تحولت جمعية فيينا الى « الاتحاد الدولى للتحليل النفسى » الذى شمل أعضائه أكثر انحاء العالم المتمدن • وبين عامى ١٩١٢ و ١٩١٣ شارك فرويد فى أعمال مؤتمرات فيمار وبودابست وميونيخ • وفى ١٩٢١ و ١٩٢٢ شارك فى أعمال مؤتمر لاهاى وبرلين •

وقد أدت الخلافات بين فرويد وبعض أصدقاءه وتلاميذه ، كبروبير (١٨٩٦) وفلييس(١٩٠٢) وأدلر (١٩١١) ويونج (١٩١٤) الى محاولة فرويد القبض على أزمة حركة التحليل النفسى والاتحاد الدولى • فأشترط أن يكون الاتحاد مسئولا عن تخريج علماء النفس ؛ والاعتراف بهم ، وعقد اجتماعاتهم ، ونشر مطبوعاتهم وأن يكون تدريب العلماء الجدد على أيدى الاعضاء المؤسسين للاتحاد • واختيرت لجنة من بين هؤلاء الاعضاء لامتحان علماء النفس قبل التصريح لهم بمزاولة التحليل النفسى ! •

ويلاحظ أن فرويد قد أخذ يطبق نظرياته منذ عام ١٩٠٧ على الاعمال الثقافية والدينية • فنشر فى ذلك العام تحليله لكتاب



STUDIEN

HYSTERIE

Dr. JOS. BREUER und Dr. SIGM. FREUD

FRANZ DEUTICKE

صورة غلاف الطبعة الاولى من كتاب بروير
وفرويد « دراسات عن الهستيريا »
المنشور في عام ١٨٩٥

يانسن عن لاجراديفا • وأنه قد أخذ يكتب عن الاساطير (الميثولوجيا) والدين منـذ ١٩١٨ • وأنه قد نشـر آرائه المتشائمة فى التمـدن الانسانى وفى مستقبل الانسان منذ ١٩٢٩ •

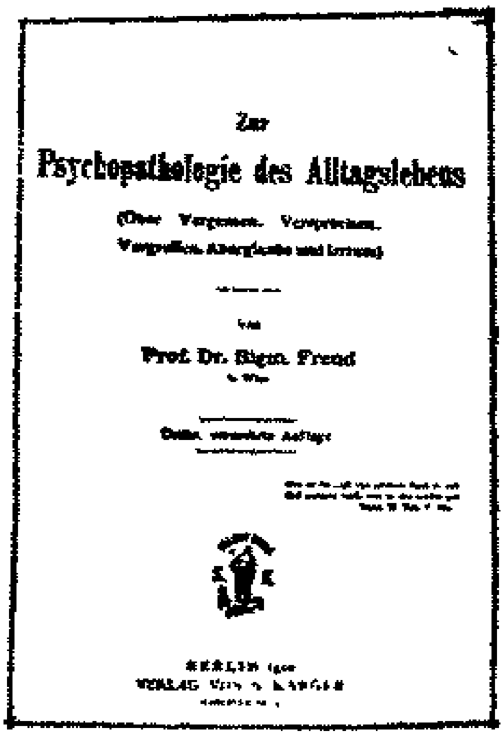
* * *

نـشر فـرويد فى ١٨٩٥ . بالاشتراك مـع بروييـر : كتابهما « دراسات عن الهستيريا Studien uber Hysterie » وهو يضم . بالاضافة الى المقدمة التى كتبها المؤلفان . دراســات منفصلة لكل منهما عن حالات الهستيريا التى صادفتهما • وقد سبق التحـدث عن بعض هذه الحالات . ومنها حالة « أنا أوه » لبروييـر وحـالة « اليزابيث فون أر » لفرويد • وكـذا عن اختلاف وجهـة نظر المؤلفين . وهو الذى أدى الى أن يصف كل منهما حالاته مستقلا عن الآخر •

ويعتبر كتاب فرويد « تفسير الاحلام Die Traumdeutung » وهو الذى انتهى منه فى ١٨٩٨ . ونشـره للمرة الاولى فى ١٩٠٠ . واحد من أعظم كتبه . ومن أفضل الكتب السيكلوجية على الاطلاق • وقد أعيد طبع هـذا الكتاب مرات كثيرة فى حياة فـرويد • وكان فرويد يعيد تنقيح الكتاب . ويضيف اليه . فى كل مـرة ، حتى تركه عند وفاته فى ضعف حجمه الاول •

ويتناول الكتاب نظريات فرويد فى تفسير الاحـلام ، ومعانى رموزها ، ومغزاها فى التحليل الفرويدى • كما يضم بعد أحلام فرويد ، التى تفضح شيئا من خبايا حياته وأسراره •

وفى ١٩٠١ نشر فرويد كتابه « سيكلوباثولوجية الحياة اليومية Psychopathoaogie des Altagslebens وتحدث فيه ، الى جانب عرضه


Zur
Psychopathologie des Alltagslebens

Von

Prof. Dr. Sigm. Freud

BERLIN
VERLAG VON S. KARGER

صورة غـلاف الطبعة الاولى من كتاب
فرويد « سيكوباتولوجية الحياة اليوميـة »
المنشور فى عام ١٩٠١

لسيرته ، عن بعض نتائج تحليله الذاتى • كما تحــدث عن مغزى الهفوات . والاخطاء . وحوادث النسيان التى قد يقع فيها الانسان بلا قصد • فأرجع هذه الهفوات الى العواطف المكظومة • وضمن فرويد هذا الكتاب المقالة التى نشرها فى هذا الموضوع منذ ١٨٩٨ « الميكانيزم المحرك للنسيان » •

وقد نظر فرويد فى هــذا الكتاب للحب نظرة مادية صرفة • فأرجعها الى «غريزة حيوانية» فى الانسان ، تستقر فيه منذ قديم • وقال أن أى تغيير فى طابع الحب « الشهوانى » لايمكن الوصول اليه من دون المساس بالفوائد الحسية الضرورية لوجود الانسان •

وفى ١٩٠٥ استغل فرويد الاسطورة الاغريقية عن حب الرب ايروس للاميرة سيكو فى تقديم كتابه « ثــلاث مقالات فى نظــرية الجنس Drei Abhandlungen Zur Sexualtheorie » • وكانت ربة الجمال عند الاغريق . أفروديت . قد سمعت بجمال سيكو Psycho (وتعنى الكلمة الروح فى الاغريقية) وغارت منها • فأمرت أفروديت ابنها ايروس . رب الحب . بأن يعذبها • ولكن ايروس يقع فى غرام سيكو ، وينقلها الى قصر بازخ ، ويقنعها بأنه زوجهــا • ولا يزور ايروس سيكو الا فى الظلام . ويطلب منها ألا ترى وجهــه • لكن أخوات سيكو ينجحن فى تحريضها على رؤية وجه حبيبها • فتقوم سيكو من مرقدها فى الظلام وتوقد قنديلا صغيرا ، وترى على ضوئه وجه ايروس . وتتعرف عليه • ولكن نقطة زيت ساخنة من القنديل تقع على كتف ايروس العــارى فى نومه ، فيستيقظ • ويعــرف • ويغضب • وفى نفس اللحظة يختفى القصر الذى عاشت فيه سيكو •

ثم تأخذ افروديت بنفسها فى تعذيب سيكو . وتدبير المكائد لها . ولكن ايروس لايزال يحبها . فيساعدها مرات . ثم يذهب الى الرب تريوس ويطلب اليه مساعدته فى التوفيق بينه وبين حبيبته . فيجعل تريوس من سيكو ربة خالدة . وتلحق بحبيبها ايروس فوق جبل الآلهة : أولمب .

ويضم كتاب فرويد « ثلاث مقالات فى نظرية الجنس » أهم آرائه عن « غريزة الجنس » و « العوامل الجنسية » . ويتناول تطور « المراحل الجنسية » فى الطفولة . وأثره الجنسى على البالغين . وفى تكوين الانسان السوى والشاذ . ودور الجنس . ومغزاه فى الاحلام . كما يتحدث فرويد عن مركب أوديب . ومعناه وآثاره . وقد تناولنا هذا الموضوع فى بعض الفصول السابقة .

وقد ختم فرويد هذه المرحلة الاولى من حياته وكتاباته . حتى الحرب العالمية الاولى . بنشره فى ١٩١٠ لكتاب « حول التحليل النفسى Uber Psychoanalyse » . ثم بتجهيزه خلال تلك الحرب . أو بين الاعوام ١٩١٥ و ١٩١٧ . لمحاضراته التمهيدية التى جمع فيها ونقح أكثر افكاره وتعاليمه حتى نهاية هذه المرحلة .

المرحلة المتأخرة لكتابات فرويد

بدأ فرويد فى القاء نظراته النفاذة على الفنون والآداب والاساطير منذ ١٩٠٧ . ولكنه تحول تحولا كبيرا لدراستها منذ الحرب العالمية الاولى . فنشر فى ١٩١٣ / ١٩١٤ « الطوطم والتابو Totem und Taboo » ويترجم التابو أحيانا بالمحرم . و « الطوطم » كلمة من كلمات الهنود الحمر الامريكيين . ولكنها انتشرت فى أواخر القرن الماضى بين علماء مختلفين . والطوطم شيء طبيعى . ومادى . وقد يكون حيوانا . يرمز لشخص أو لقبيلة بدائيين . وقد وجد فرويد أن القبائل البدائية تستخدم «الطوطم» الذى يتمثل فى زواج الاقارب . لمنع الفحش . لان الاقارب كالابن وأمه . أو الاخوة والاخوات . يحملون طوطما واحدا . ولذلك لايجوز زواج أحدهم من الآخر . ونلاحظ هنا أن فكرة الطوطم قد طورت لدفع أذى بيولوجى . يحدثه فعلا زواج الاقارب . ولكن الطوطم قد يعنى أيضا منع قتل الحيوانات أو الطائر الذى يحمل طوطم الشخص أو القبيلة ؛ لما يحمله معنى القتل للطوطم من أذى للشخص أو القبيلة التى يرمز لها .

و « التابو » يعنى امتناع هؤلاء البدائيين (ويظن أنه قد نشأ بين

سكان جزر جنوب المحيط الهادى) عن ارتياد أماكن . أو التحـــدث بأسماء أشخاص أو حيوانات الخ . لاسباب عقائدية . ولكن التابو يمتد أيضـــا الى كل مايتصـــل بتابو . فيصبح هو الآخـــر محرما . وفى ظن فرويد أن التابو قد نشأ عند الانسان البدائى هو الآخـــر لضرورة تجنب الفحش . وفى تابو الموت عنـــد القبائل البدائيـــة . وجد فرويد أن المغزى هو تجنب أخطار الموت وضـــرورة استمرار الحياة . وعند تلك القبائل أن الموت لايجىء الا عن عدوان « انسان آخر » . وأن المرض هو « انتقـــام روح خفيـــة » . ولكن روح الميت وحدها هى التى تشعر بذلك العالم الخفى . لان الموت يعنى خروج الروح من الجسد وتحليقها فى عالم آخر .

وقد وجد فرويد أن قتـــل « الاب » كان منتشرا بين القبـــائل البدائية . وأن السبب فى القتل كان تخليد وعبادة الاب المقتول . وقد أدى هـــذا الى « الشعور بالذنب » لهذه الخطيئـــة الكبرى . ثم الى الاتجاه الى استخدام طوطم على شكل حيوان ، والاستغناء عن قتل الاب . ويلاحظ هنا أيضـــا أن فكرة قتـــل الاب ، أو زعيم القبيلة . قد جاءت لضمان تجديد شبابها وخروج أجيال قوية تاليـــة عندما يطعن الاب أو الزعيم فى السن .

ويسمى فرويد هذه المرحلة ، مرحلة تكالب الابنـــاء على الاب ، وتغلبهم عليه . بالمرحـــلة « الطوطمية » . ويقول أن هـــذه المرحلة كانت بداية نشـــأة القيود ، التى فرضتهـــا الجماعة عـــلى افرادها لايجاد النظام الذى أدى بعد ذلك الى القانون .

ووجد فرويد أن المجتمعات البدائية قد ظلت جـــامدة لم تتطور

« لان الجماهير لاتقبل عادة التغيير . وتستسهل السير على الماضى » وأن هذه المجتمعات البدائية تســتبد بها على الدوام . ســواء فى تفكيرها أو فى قوانينها . فكرة الفحش .

كذلك وجد فرويد فى النار « مغزى جنسى » عنــد البدائيين . وقال : ان الرغبة تستبد بالرجل البدائى لمحــاولة اطفائها بالتبول عليها . لان فى التبول « اطفــاء جنسى لغريزته » وتمثيــل لقوته الجنسية أمام أفراد قبيلته . ولهــذا نجد أن « المرأة الكاهنـــة » هى التى اختيرت دائما ، ومن دون الرجل . لحراسة النار المقدسة .

وفى ١٩١٦ ، نشــر فــرويد كتابه « ليونــــاردو دافنــشى Leonardo da Vinci دراسة سيكو جنسية عن ذكريات طفولته » . وفى هذا الكتاب ، الذى كتبه فرويد منذ ١٩١٠ وطبق فيــه نظريات التحليل النفسى على مادرسه عن حيــاة وأعمال ليوناردو ، أرجــع فرويد الابتسامات الشهيرة على تماثيل الفنان كـ « الموناليــزا » و « سانت آن » وعجزه عن اتمام أعماله . وتحطيمه لتمثال « فينوس ديه ميلو » بعد اتمامه له ، الى « صــدمة جنسية » الحقت به وهو صغــــير .

وكان فرويد قد أبدى اعجابه وشغفه بليوناردو . وكتب لفليبس منذ ١٨٩٨ : « وربما لم يتمتع ليوناردو . أشهر أعسر فى تاريخ البشرية . طوال حياته : بعلاقة غرامية » .

والمعروف أن ليوناردو كان ابنا غــير شرعى لام فلاحـــة ، هى كاترين ، وأب شاب كان يطلب العلم فى فلورنسا . فلما ترك الاب المدينة . احتضنت الام ابنها بشدة فى غيبة أبيه . حتى أصبح الاب

محاميا . وتزوج من سيدة أخرى هي دونا البيرا • ولكن الزوجة الجديدة لم تنجب أطفالا . مما دعا الاب الى نزع الابن وهو في حوالى الرابعة من عمره من والدته وتسليمه لزوجته •

ومع أن الام الجديدة كانت كريمة مع ليوناردو . فان حب ليوناردو لامه كان قد اتخذ طابعا « نسبقيا » أدى الى تقمصه لشخصية أمه . واختياره للموضوعات المرادفة لها • وكذلك لكبت شديد للجنس ثم انصراف به . احتقار له • ثم تسام بغريزته الى الاستطلاع وحب المعرفة • وأما الحرمان الابوى . فقد أدى الى اهماله لصورة (ابنائه ؟) ونبذ السلطة « الابوية » واتخاذ موقف المعارضة الدائمة •

ويقول فرويد أن آثار هذه الحياه قد ظهرت واضحة في حب ليوناردو للحياة الرغدة . والجميلة . وابتعاده عن النساء . واعجابه بجمال الاطفال • ثم التردد والتأخير في اتخاذ القرارات • وتناقض النظرة في صورة وظهور امرأتين معا مع طفل واحد في صورة « العذراء وحنة » •

يقول فرويد عن كاترين والدة ليوناردو :

« لقد فقدت الام زوجا ، فعوضت هذا بالطفل الذى انجبته منه . وحنت عليه بأكثر مما تحنو الام عادة على ابنها • حتى حرمته من قوته الجنسية في سن متقدمة » .

الى أن يقول :

« وهكذا فقد الابن خيالاته الطبيعية وركزها في والدته . وظهرت آثار هذا على وجوه تماثيله ذات الجنس المزدوج » .

وفي ١٩٢٠ نشر فرويد كتابه « ما وراء مبدأ اللذة

Tenseits des Lust Princips « الذى أكد فيه أن البحث عن السعادة وتجنب الالم هى التى تحكم وتوجه تصرفات الانسان • والى أن الفرد يحتاج دوما الى أن يشبع الدوافع الليبيدية لغرائزه • والى أن يخفض توتراته وقلقه ، بالاستجابة لها أو التسامى بها • ولكن الانسان لايستطيع ، مع ذلك ، أن « يحتمل اللذة المتصلة » أو « السعادة المفرطة » • Massenpsychologie und Ich - Analyse

وقد نشر فرويد بعد ذلك بعامين ، أى فى ١٩٢٢ ، كتابه الصغير والهام « سيكلوجية الجماهير وتحليل الايجو (الانا) Massenpsychologie und Ich - Analyse » الذى حاول فيه أن يدرس الروابط التى تربط بين افراد الجماعة وبين رئيسها • وانتهى فرويد الى أن « الدوافع الليبيدية » هى أساس تلك الروابط • وأنها تربط بين أفراد الجماعة ، وبينهم وبين رئيسهم • وأن أفراد الجماعة يشتركون فى « وهم » يتلخص فى أن رئيسهم « يحب أفراد جماعته حبا متساويا » • وأن هذا الحب هو الذى تقوم عليه روحهم المعنوية • وأنه اذا ظهر لهم أن رئيسهم يفضل بعضهم على البعض الآخر ، انهارت تلك الروح •

وفى ١٩٢٣ ، نشر فرويد كتابه عن الشخصية الانسانية « الايجو والايد Ego und Id » • فجعل منها ثلاث طبقات • هى الايجو (الانا) والايد (الهو) والسوبر ايجو (الانا الاعلى) • وطبقة الايد (الهو) هى ، على ماذكرنا ، الطبقة الغريزية الاولى ، والتى تحتاج منا الى تلبية فورية • وطبقة الايجو (الانا) هى الطبقة الثانية ، التى تزن رغبات الطبقة الاولى مسترشدة بشرائع المجتمع

وتسمح بما يمكن تحقيقه منها . واما الطبقة الثالثة فهى السوبر ايجو (الانا الاعلى) . التى تنبع من داخل الانسان ، وتزن رغائبه بميزان الاخلاق والضمير الخ . وقد وجد فرويد أن الصراع بين الطبقات الثلاث قد يحتدم . وقد يؤدى الى القلق : ولكننا لانشعر به فى صحونا . وانما تفضحه أحلامنا .

وفى ١٩٣٠ نشر فرويد كتابه « أمراض التمدن Zivilisation und seine Unzufriedenheit » الذى بحث فيه أمور الحب والسعادة الانسانيين . وقيود المدنية . وأمراضها . وقد كشف فرويد فى هذا الكتاب عن نفس متشائمة غاية التشائم ، حاول النقاد ارجاعها الى حالته الصحية المتدهورة أو الى الحالة السياسية غير المستقرة وقتذاك فى أوروبا .

وقد فرق فرويد فى كتابه بين الحضارة والثقافة . وقال أن الاولى نتيجة للثانية . وعدد سمات الدولة المتحضرة : فقال أن كل شىء فيها « يستغل ويستثمر لصالح الانسان . ويساعد على حمايته من الطبيعة » . وأن الانسان فيها يحاط برعاية كاملة . ومهاراته توجه لهذا السبب الى مايبدو أنه أشياء غير نافعة ، كزراعة الحدائق والمتنزهات ، وبناء الملاعب الخ .

وقال ان الدولة المتحضرة هى تلك التى تولى الانشطة الفكرية اهتماماتها . « ولكن أهم مايميز الدولة المتحضرة هو قيامها على شىء من الزهد والارتفاع عن اشباع الغرائز » .

وقال فرويد أن الدولة المتحضرة تتميز أيضا بالنظام « لان للنظام فوائد . وهو يمكننا من استخدام المكان والزمان على الوجه



أحب فـــرويد موسى واعتبره
مصـــريا لا عبريا

الاكمل ، ويغنينا عن بذل الطاقة الذهنية من دون طائل » .

يقول فـــرويد :

« حقيقي ان التمدن يتقبل الحب ، بل ويرفعه ارفـــع مكانة . ولكن مكان الحب فى حياتنـــا المعاصرة يصفـــر شيئا فشيئا . (وهذا لان) اغراض الحب تتعارض ، فى الحقيقة ، مع اغراض التمدن . كما أن هذا يحاول عـــلى الدوام فرض قيوده عـــلى مابقى لنا من حب في حياتنا » .

ويقول فـــرويد :

« ان الانسان يبحث بغريزته عن السعادة .ولكن طبيعة تكوينه لاتسمح له بأن يرى منهـــا ، وبصعوبة ، وعن طريق مخـــالف لطبائع الحياة ، الا قليلا . وعلى النقيض من ذلك ، نرى الالام تلاحق الانسان في سهولة » .

الى أن يقول مفسرا مصدر هذه الالام :

« ان هناك ثلاث مصادر لهذه الالام . الاول هو جسم الانسان والثانى هو العالم الخارجي . والثالث هو علاقته بالاخـــرين ولهذا فان جهود الانسان فى التخلص من هذه الالام تزيد عن جهوده فى محاولة جلب السعادة لنفسه . وحتى اذا كانت طبيعتـــه الخاصة تسعى وراء سعادته ، فهو فى حياته المدنيـــة لا يكاد يحظى الا بتجنب الالام » .

وفى ١٩٣٩ نشر فرويد كتابه « موسى والتوحيد Der Mann Monotheistishé Relegion . وفى هذا الكتاب اعتبر فرويد موسى مصريا وليس عبريا . وأكد صراحة أن الايمان بالتوحيـــد كان كشفا مصريا خالصا . وقد أعتمد فرويد فى ما كتبه هنـــا على دراسات برستد Breasted التى توضح أن اخنـــاتون كان أول من نادى بالتوحيد .

وقد ذكر بريل : وهو من أوائل تلاميذ فرويد . أن فـرويد كان « يتخيل نفسه » عن معرفة : أو عن غـير معرفة . نبى اسـرائيل « الذى قاد شعبه بالصراحة الى الخلاص » • وقال أن تمثال مايكل أنجلو لموسى كان يملأ فرويد بالاعجاب والفخر «وخصوصا أصابع» التمثال التى تسند جانب الوجه » والتى تجعل من طريقـة جلوس فرويد أقرب ما تكون الى طريقة جلوس موسى •

أهم مؤلفات فرويد

١٨٩٥ (بالاشتراك مع بروير) دراسات عن الهستيريا
Studien uber Hysterie

١٩٠٠ تفسير الاحلام Die Traumdeutung

١٩٠١ سيكوباثولوجية الحياة اليومية
Zur Psychopathologie des Altagslebens

١٩٠٥ ثلاث مقالات في نظرية الجنس
Drei Abhandlungen Zur Zexualtheorie

١٩١٠ حول التحليل النفسي Uber Psychoanalyse

١٩١٣/١٤ الطوطم والتابو Totem und Taboo

١٩١٤ مقدمة في حب الذات
Zur Einfuhrung des Narzissmus

١٩١٦ ليوناردو دافنشي Leonardo da Vinci دراسة سيكو جنسية عن ذكريات طفولته

١٩٢٠ ماوراء مبدأ اللذة Tenseits des Lustprinzips

١٩٢١/٢٢ سيكولوجية الجماهير وتحليل الايجو (الانا)
Massenpsychologie und Ich - Analyse

١٩٢٣ الايجو (الانا) والايد (الهو) Ego und Id

١٩٢٦ مسألة التحليل النفسي Die Frage der Laienanalyse

١٩٢٧ مستقبل وهم Zukunft der ein Illusion

١٩٣٠ أمراض التمدن
Zivilisation und Seine Unzufriedenheit

١٩٣٤/٣٨ موسى والتوحيد
Der Mann Moses und die Monotheistische Religion

اهم المراجع

(بالاضافه الى اعمال فرويد فى اللغات الانجليزيه والالمانية والفرنسية)

أحمد عكاشه : علم النفس الفسيولوجى والطب النفسى المعاصر

سلامه موسى : عقلى وعقلك

سيجموند فرويد : (ترجمه د. أحمد عكاشه مع مقدمه) : ليوناردو دافنشى

(تلخيص د. عبد المنعم الحفنى) : الحرب والحضارة والحب والموت .

Allenberger — The Discovery of the Unconscious

Jones — Life of Freud

Klein — The Psychoanalysis of Children

Klein & Riviere — Love, Hate and Reparation

Ludwig — Doctor Freud

Mannoni — Freud

Rycroft — Psychonalysis Observed

A Criticel Dictionary of Psychoanalysis

achs — Freud, Master and Friend

The Life of Freud

Freud

الفهــــرست

نعتذر لاختلاط موضعى الصورتين بصفحتى ١٣ و ١٩



المستقبل بالقاهرة والإسكندرية
ومؤسسة المعارف ببيروت

